القسم الأول

"اللاسامية الجديدة"
غير الجديدة تماماً

نحن نواجه حالياً تهديداً كبيراً لأمن وسلامة الشعب اليهودي يساوي التهديد الذي واجهناه في ثلاثينيات القرن العشرين - إن لم يكن أكبر.

إبراهام فوكسمان، المدير القومي
رابطة مكافحة التشهير

obeikandl.com

obeikandl.com

1

من فيلم "النجم الساطع يسوع المسيح" إلى فيلم "عاطفة المسيح"

الابتكار الأخير للمبررين لإسرائيل، هو موضوع "اللاسامية الجديدة". فحالما جدد الفلسطينيون مقاومتهم للاحتلال، وصعدت إسرائيل قمعها الوحشي لثورتهم، صدر إنتاج هائل من الكتب والمقالات والمؤتمرات وما شابه ذلك تزعم (على حد تعبير أبراهام فوكسمان، المدير القومي لرابطة مكافحة التشهير) "نحن نواجه حالياً تهديداً كبيراً لأمن وسلامة الشعب اليهودي يساوي التهديد الذي واجهناه في ثلاثينيات القرن العشرين - إن لم يكن أكبر"[1]. ولكن يتضح أن المزاعم بانتشار اللاسامية الجديدة لا هي جديدة ولا هي تتعلق باللاسامية. فقبل ثلاثين عاماً، نشر القائدان القوميان لرابطة مكافحة التشهير، أرنولد فورستر وبنجامين ر. إبستين، دراسة مصحوبة بحملة جماهيرية كبيرة بعنوان "اللاسامية الجديدة"، وبعد أقل من عشر سنوات على ذلك، قام القائد القومي لرابطة مكافحة التشهير، ناثان بيرلموتر (بصحبة زوجه، روث آن بيرلموتر) بنشر كتاب "اللاسامية الحقيقية في أمريكا" زعما فيه من جديد أن الولايات المتحدة تسودها اللاسامية الجديدة[2]. إن الهدف الرئيس الكامن وراء هذا المهرجان الإعلامي المنسق بدقة والذي يظهر بانتظام، ليس مكافحة اللاسامية، وإنما استغلال المعاناة التاريخية لليهود من أجل حماية إسرائيل من النقد. فكل حملة لمكافحة "اللاسامية الجديدة" تزامنت مع ضغوط دولية متجددة على إسرائيل كي تنسحب من المناطق العربية المحتلة في مقابل حصولها على الاعتراف من الدول العربية المجاورة.

obeikandl.com

لقد أصبح كتاب "اللاسامية الجديدة" الذي وضعه فورستر و إبستين أنموذجاً للكتب التي صدرت لاحقاً. إذ خصص مؤلفا هذا الكتاب بضعة فصول للاسامية المنتشرة في معظمها بين متطرفين يمينيين هامشيين في الولايات المتحدة، بينما خصصا مساحة أكبر من الكتاب لشجب اللاسامية المنتشرة في مجتمع الأمريكيين من أصول إفريقية. ولإلقاء الضوء على مدى انتشار هذه اللاسامية الجديدة، وجه المؤلفان مزاعم سخيفة نوعاً ما، عشوائية الطابع، للمؤسسات التابعة للتيار العام، مثل صحيفتي "واشنطن بوست" و "نيويورك تايمز" بسبب تعاملهما المتسامح مع ظاهرة اللاسامية، وصناعة الأفلام لقيامها بإنتاج أفلام كرتونية مثل "الفيلم الجنسي الركيك (القطط)... الذي يحتوي على مشهد يخلو من الذوق يحدث في معبد يهودي، وفيلم "عصفور الطحن"، الذي استخدم لهجة يهودية وكاريكتير لشخصية يهودية لإطلاق نكتة بذيئة، والذي فاز بجائزة الأوسكار عام 1972"(3).

يظهر هذا الصخب الذي يصدر في حقب منتظمة بشأن اللاسامية الجديدة تواصلاً حتى في التفاصيل الدقيقة. كان أحد العناصر الرئيسة في لائحة الاتهام التي قدمها فورستر وإبستين في كتابهما هو الفيلم السينمائي الذي كان قد أصدره للتوّ نورمان جويسون بعنوان "النجم الساطع يسوع المسيح"، وذلك استناداً لمسرحية غنائية بالاسم ذاته. وزعم مؤلفا الكتاب أن منتج الفيلم "نقل مسرحية لاسامية لينتج فيلماً سينمائياً أكثر إيغالاً باللاسامية". وكان قد اشترك في كتابة هذه المسرحية "اللاسامية" أندرو لويد ويبر، الذي ذهب بعد ذلك لإنتاج مسرحيات غنائية أخرى في مسارح شارع برودوي، مثل المسرحية اللاسامية الشائنة "كاتس" [القطط]، بينما كان جويسون قد انتهى للتو من إنتاج وإخراج فيلم منقول عن مسرحية "عازف على السطوح"(*). أما سبب اتهام ويبر وجويسون باللاسامية فهو أنهما يخلدا الكذبة بأن "اليهود، كجماعة، قتلوا المسيح" وتجاهلا "التفسير البابوي الجديد لعملية الصلب"،

(*) فيلم "عازف على السطوح" منقول عن مسرحية تستند إلى قصص ألفها شلوم آليخيم، وهو كاتب يهودي روسي، وتتناول قصصه حياة اليهود ومعاناتهم في روسيا ما قبل الثورة البلشفية. ولا يخفى على القارئ اللبيب هنا، أن الكاتب فنكلستين يسخر هنا من اتهام هذين الفنانين الشهيرين باللاسامية لا سيما وأنهما أنتجا أعمالاً متعاطفة مع اليهود. [المترجم]

وبدلاً من ذلك يتبعان "الصيغة القديمة البدائية لمشهد الصلب، التي تخلى عنها المجلس البابوي الثاني"(*). وقيل: إن التصوير المتحيز لشخصيات الكتاب المقدس الرئيسة تشكل دليلاً قاطعاً على الدافع اللاسامي في إنتاج هذا العمل: "إذ إن فيلم النجم الساطع، هو إعادة صياغة متحررة للقصة الواردة في العهد الجديد [الإنجيل] ... الصور الخبيثة للرعاع في القدس وصور الكهنة ظلت كما هي [كما في الرواية البدائية]، ومن جديد، فقد وضع النصيب الأوفر من اللوم عليهم في قصة الصلب. وفي الوقت ذاته، آثر مؤلفو فيلم النجم الساطع تبييض صفحة شخصية بيلاطس البنطي(**) وتبرئته من اللوم على محاكمة المسيح وإدانته، وبالتالي زيادة المسؤولية التي يتحملها الكهنة اليهود". لنتقدم الآن إلى العام 2004، فقد تم عزف النغمات ذاتها في الهجوم على الفيلم الذي أخرجه ميل غيبسون "عاطفة المسيح"، فعلى سبيل المثال، قال الكاتب فرانك رايش في صحيفة نيويورك تايمز: "ليس هناك شك في أن الفيلم يعيد كتابة التاريخ من خلال تصوير قيافا وكبار الكهنة اليهود على أنهم المحرضون الرئيسون على قتل المسيح، بينما يقلل من مسؤولية بيلاطس البنطي ويصوره على أنه متردد، ومنفذ للحكم يعتريه تأنيب الضمير"(4).

يقال: إن إبراهام فوكسمان عبر عن الجزع من اللاسامية التي يحتمل أن تنتج عن فيلم غيبسون. ولكن الجمهور الرئيس المستهدف لحضور فيلم "عاطفة المسيح" هم الأصوليون المسيحيون ذاتهم التي تحالفت رابطة مكافحة التشهير معهم منذ سنوات عديدة. فعلى سبيل المثال، يقوم رالف ريد من التحالف المسيحي بانتظام بإلقاء خطابات أمام اجتماعات رابطة مكافحة التشهير. ولكن ما هو سبب هذا الغضب الانتقائي الموجه ضد ميل غيبسون؟ بعيداً عن الحقيقة الواضحة إن التحالف المسيحي يمكنه أن يفعل ما يشاء "بوصفه صديقاً مخلصاً لإسرائيل"(5)،

(*) عقدت جلسات المجلس البابوي الثاني على امتداد أربع سنوات (1962-1965)، وقد أمر بعقده البابا جون الثالث والعشرين بهدف تحديث الكنيسة الكاثوليكية. [المترجم]

(**) حسب رواية الإنجيل، كان بيلاطس البنطي حاكماً في وقت صلب المسيح، وعارض الصلب، ولكنه لم يتمكن من معارضة الجماهير التي طالبت بصلبه، فطلب حينها ماء، وغسل يديه أمام الجموع، وقال: إنه بريء من دم المسيح، في حين قالت جموع اليهود الموجودة: دمه علينا وعلى أولادنا. [المترجم]

أيمكن أن يكون السبب أن المدير القومي لرابطة مكافحة التشهير قد سرق صفحة من كتاب قديم؟ بالمعنى الحرفي تقريباً للكلمة، مستغلاً عرض فيلم "عاطفة المسيح" ليشعل هستيريا حول اللاسامية الجديدة؟ لقد أطلق فوكسمان أولى الهجمات على فيلم "عاطفة المسيح"، ومن ثم هيمن على ساحة هذه المعركة. ومن الجدير ذكره أن اسم فوكسمان يرد في مقدمة التنويهات والشكر في كتاب "اللاسامية الجديدة" للمؤلفين فورستر وإبستين. لقد كانت أزمة فيلم "عاطفة المسيح" رابحة في جميع الحالات: فلو خضع ميل غيبسون للضغوط، فإن من شأن ذلك نشر رسالة للجميع بعدم استعداء اليهود؛ وإن لم يخضع، فإن ذلك سيثبت الوجود الطاغي للاسامية. وحتى قبل إصدار الفيلم، عمد فوكسمان إلى استغلال هذا الأمر لإطلاق الاتهامات بانتشار اللاسامية. تقوم رابطة مكافحة التشهير سنوياً بإصدار "إحصاء حالات اللاسامية"، وورد في إحصاء عام 2003: "في بدايات عام 2003، أعلن ميل غيبسون عن تصوير الفيلم الذي سيصدر قريباً "عاطفة المسيح". وقد تبع ذلك خلاف امتد لمدة عام تقريباً أثار رسائل بريدية ورسائل إلكترونية مشحونة بالكراهية واللاسامية موجهة إلى رابطة مكافحة التشهير، ومنظمات يهودية أخرى، وكذلك إلى بعض الصحف والقادة الدينيين وإلى الأشخاص الذين أدلوا بتعليقات منتقدة على الفيلم"، وكذلك "كانت الرسائل المليئة بالكراهية دليلاً على مشاعر اللاسامية التي أثيرت جراء القلق الذي عبر عنه اليهود تجاه الفيلم"[6]. يتضح ببساطة أن ثقة فوكسمان كانت في محلها من أن الصحفيين، المتربصين دائماً لكشف أي تجليات للاسامية، سوف يقعوا في الفخ؛ كما أن كتاب الأعمدة الصحفية والمثقفين دائمي البحث عن قضايا لتبنيها - وإن يكن فقط ضد أعداء وهميين - سوف يقودون الحملة غير هيابين، فقد تدافعوا طمعاً بالحصول على لقب أشد خصوم غيبسون (مثل ليون ويزيلتير من مجلة "نيو ريبيلك، وفرانك رايش من صحيفة "نيويورك تايمز"، وكريستوفر هيتشتز من مجلة "فانتي فير"، وتشارلز كروثامير من صحيفة "واشنطن بوست"). حتى إذا صدقنا أسوأ الاتهامات الموجهة إلى فيلم "عاطفة المسيح" من قبل رابطة مكافحة التشهير (بأن الفيلم ينطوي على لاسامية في جميع تفاصيلة كما هو الحال مع فيلم "النجم الساطع")، فما مدى الشجاعة التي يتطلبها شجب ميل

غيبسون في تلك الصحف والمجلات؟ لقد عكس الكاتب الصحفي فرانك رايش السبب والنتيجة؛ إذ نجده يدعي الورع ويتهم غيبسون بأنه "بدأ بالهجوم" و "يبحث عن شجار"، لا رابطة مكافحة التشهير والصحف التي تخوض معاركها نيابة عنها. إن من الدلائل القاطعة على سخف هذا "الخلاف" أن جوهره يتركز على المؤهلات الأكاديمية لغيبسون في مجال الدراسات اللاهوتية. فقبل فيلم "عاطفة المسيح"، من كان يظن أن غيبسون لديه أي أفكار أصلاً؟ إن المستوى الثقافي لهذا الحوار يتساوى مع الخلافات التي تظهر بين آونة وأخرى حول المعنى العميق لكلمات آخر أغاني مايكل جاكسون(7).

لقد كان الهدف الرئيس - بل الهدف الحقيقي - لكتاب "اللاسامية الجديدة" الذي كتبه فوستر وإبستين هو مهاجمة النقد الذي وجه إلى إسرائيل بعد حرب تشرين الأول/ أكتوبر 1973، عندما بدأت ضغوط جديدة تمارس على إسرائيل كي تنسحب من سيناء، وللتوصل إلى تسوية دبلوماسية مع الفلسطينيين. وقد ظهر زعم بأن هذا "العداء" الموجه لإسرائيل "هو جوهر اللاسامية الجديدة". وقيل: إن هذا العداء هو ما أنتج اللاسامية، وإنه يمثل شكلها "النهائي": "الجواب الوحيد الممكن أنه يمكن احتمال اليهود وقبولهم، كضحايا فقط. ولكن عندما يتغير وضعهم بحيث لا يكونون ضحايا، أو يظهر أنهم ليسوا ضحايا، فإن العالم غير اليهودي يجد ذلك صعب الاحتمال، لذلك تتجدد الجهود لجعلهم ضحايا من جديد"(8). أما احتمال أن النقد الموجه لإسرائيل قد يكون نابعاً من التصلب الإسرائيلي (بسبب رفضها للانسحاب على الرغم من الجهود العربية لتحقيق السلام)، فيعتبره مؤلفا كتاب "اللاسامية الجديدة" شديد السخف بحيث لا يستحق أن ينظر بأمره. وبعيداً عن الأشباح المعتادة، مثل الأمم المتحدة، والاتحاد السوفييتي، والعالم العربي، فإن البرهان المزعوم حول انبعاث اللاسامية هو أنه ظهرت موجات من كراهية اليهود حتى لدى الحلفاء التقليديين لإسرائيل في أوروبا الشرقية والولايات المتحدة(9). على سبيل المثال، في بريطانيا وافق عدد من الناس أقل من ذي قبل على أن "إسرائيل يجب أن تحتفظ بجميع أو معظم المناطق التي احتلتها في حزيران/ يونيو 1967"، وأن مقالاً في صحيفة "غارديان" البريطانية أورد إن إسرائيل كانت تستخدم "حيلاً

قذرة" لمصادرة أراضي الفلسطينيين. وفي ألمانيا، زعمت مقالة في مجلة "شتيرن" أنه "تم استخدام الإرهاب والقوة من قبل اليهود في التأسيس القسري لدولتهم عام 1948". وفي أمريكا اللاتينية فإن خطر اللاسامية الجديدة كان "مثيراً للقلق" في الأرجنتين بصفة خاصة، حيث دعا "الناطق الرسمي باسم اليسار" إلى "سلام عادل [في الشرق الأوسط] استناداً إلى إخلاء جميع المناطق المحتلة"، ولأن مؤيديه كانوا "ينادون "بحق الفلسطينيين بتقرير المصير"[10].

وفي الولايات المتحدة، فإن خطر اللاسامية الجديدة ينبع، استناداً إلى فورستر وإبستين، من "اليسار المتطرف"، مثل حزب العمال الاشتراكي التروتسكي، والحزب الشيوعي الأمريكي الستاليني، وحزب العمال الماوي التقدمي - حتى وإن كان من الممكن أن يجلس جميع منتسبي هذه الأحزاب مجتمعة في (كشك تلفون) مرتاحين. إضافة إلى ذلك، تم الزعم بأن بعض قطاعات الأوساط المتدينة ومؤيدي السلام قد خضعوا لإغراء اللاسامية. على سبيل المثال، "تم تجاوز الخط" عندما قال قساوسة تحرريون من طائفة البروتستنت في خطبهم الدينية: إن "الذين تعرضوا للاضطهاد أصبحوا يضطهدون غيرهم، فقد تم طرد العرب؛ العرب يتعرضون للسجن دون اتهامات"؛ عندما دعا المجلس الكنائسي القومي إلى "الاعتراف بحق الفلسطينيين العرب "بوطن مقبول من قبلهم والذي يجب أن يكون أمراً خاضعاً للتفاوض"". كما أن إحدى نشرات لجنة خدمات الأصدقاء الأمريكية (الكويكرز) تجاوزت الخط عندما زعمت أن "مصر وإسرائيل مذنبتان بالمقدار ذاته بإشعال حرب حزيران/ يونيو 1967" (وهذا الأمر، في الواقع، يوضح تحيزاً لصالح إسرائيل)؛ وأنه يجب على إسرائيل "كخطوة أولى، أن تلتزم بالانسحاب من جميع المناطق المحتلة، وهذا يتوافق تماماً مع القراءة العربية لقرار مجلس الأمن في الأمم المتحدة الصادر في 22 تشرين الثاني/ نوفمبر 1967" (في الواقع، فإن هذه القراءة لقرار 242 تمثل إجماع المجتمع الدولي، بما في ذلك الولايات المتحدة)؛ وأنه يجب على اليهود الأمريكيين "رفض الحلول العسكرية التبسيطية، و... تشجيع التفحص الهادئ المتأني لجميع القضايا"[11]. أما التحدث علناً في مناسبات قليلة عن لوبي اليهود الأمريكيين الذي يحشد التأييد لإسرائيل، أو التحدث بصفة أكثر ندرة عن نفاق الولايات المتحدة في

تعاملها مع الصراع العربي الإسرائيلي، فقد أثاره فورستر وإبستين بوصفه الدليل الأوضح على وجود اللاسامية؛ على سبيل المثال، زعم تقرير صحفي في صحيفة "واشنطن بوست" أن "تأثير اليهود الأمريكيين على السياسات الأمريكية لا يتناسب مع عددهم كقوة انتخابية"، وأنهم "يقومون بممارسة الضغوط السياسية في مقر الكونغرس، وكثيراً ما تتاح لهم إمكانية وصول مباشرة إلى البيت الأبيض"، وكذلك التعليق الإخباري الذي ورد في محطة سي. بي. أس التلفازية الذي "اتهم الولايات المتحدة بانتهاج "معايير مزدوجة" فيما يتعلق بالإرهاب في الشرق الأوسط"[12]. وفي مواجهة هذا الحشد الهائل للأدلة، فمن يمكنه أن يشكك بالخطر القاتل للاسامية، ما عدا الكارهين المتشددين لليهود؟

في الوقت الذي قام به ناثان وروث آن بيرلمتر بإصدار كتاب "اللاسامية الحقيقية" (1982)، كانت نخب اليهود الأمريكيين قد اتجهت أكثر نحو اليمين في الطيف السياسي. ووفقاً لذلك، وبالمقارنة مع كتاب "اللاسامية الجديدة"، فإن الحيز المخصص في كتاب "اللاسامية الحقيقية" للاسامية في الأوساط اليمينية تقلص، بينما توسع الحيز المخصص للاسامية في الأوساط اليسارية (وصفة اليساري هنا لا تعني اليسار المعروف، بل كل جهة على يسار هذا اليمين). فبالنسبة لفورستر وإبستين فإن اليسار المتطرف "يمثل اليوم خطراً على يهود العالم، يساوي على الأقل الخطر القادم من اليمين". ولكن بالنسبة لناثان وروث آن بيرلمتر فإن الخطر القادم من اليسار يبدو أعظم بكثير، ينبغي أن نكرر هنا، ليس اليسار المتطرف وحسب، ولكن اليسار المعتدل أيضاً، ويشمل معه قطاعاً كبيراً من التيار السائد. ويشرح المؤلفان في موضع من كتابهما: "نحن لم نناقش أمر اليمين، ليس لأنه غير ذي أهمية لليهود، بل لأن الخطر معروف جيداً لليهود"[13]. إن السبب الأرجح لهذا الصمت النسبي حول اليمين هو أن نخب اليهود الأمريكيين أصبحت الآن متحالفة مع (بل أصبحت تنتمي بصفة متزايدة إلى) اليمين، بعيداً عن التيارات التي تتسم بالحماقة في أقصى اليمين. وفي الساحة المحلية، فبينما اختفت اللاسامية المؤسسية وازدهرت أوضاع اليهود الأمريكيين، تراجعت الروابط بين اليهود وحلفائهم السابقين "الطبيعيين" في اليسار وضمن الأقليات الأخرى التي تتعرض

للتمييز. وأصبحت نخب اليهود الأمريكيين بصفة متزايدة تتصرف للحفاظ على امتيازاتها الطبقية وحمايتها، وحتى صفة الانتماء "للبيض". أما في الميدان العالمي، وإذ أخذ التصلب السياسي الإسرائيلي والاحتلال الوحشي ينفر الرأي العام، ومع تزايد التحالف مع اليمين في الولايات المتحدة (وفي مناطق أخرى)، وجدت نخب اليهود الأمريكيين نفسها وبصفة متزايدة على تعارض مع الوسطية السياسية، ومتآلفة مع اليمين. ولقد أوضح ناثان وروث آن بيرلمتر هذه التطورات بصراحة كبيرة، وإن كان الأمر مثيراً للاشمئزاز من الناحية الأخلاقية.

وفقاً لناثان و روث آن بيرلمتر، فإن اللاسامية الكلاسيكية التي تم من خلالها استهداف اليهود لأنهم يهود، لم تعد تشكل خطراً مباشراً في الولايات المتحدة: "جماعات كو كلوكس كلان(*) والنازيون الجدد ما هي اليوم سوى طيف هزيل مما كانت عليه من قوة سياسية في السابق. كما أن حقيقة أن اللاسامية تجري بالهمس هو دلاله على تدني وضعها". ومع ذلك، فقد حل محلها نوع جديد من اللاسامية. وقد عرف ناثان و روث آن بيرلمتر هذه اللاسامية "الحقيقية" بأنها أيّ تحدٍّ معادٍ للمصالح اليهودية. فإذا لم يكن هذا التحدي مدفوعاً موضوعياً بالعداء لليهود، فإنه يظل ضاراً بهم جوهريا، "فإن أطروحة هذا الكتاب هي أن مصالح اليهود حالياً لا تتعرض للتهديد من قبل أعدائهم المألوفين، واللاسامية المكشوفة، بل من خلال سياسات حكومية مناهضة للسامية، قد يكون مؤيدوها أحياناً خالين من مشاعر اللاسامية، وحتى أنه قد يكون من ضمن أخلص أصدقائهم أشخاص من اليهود". وهذا يعني من الناحية العملية إلصاق نعت "اللاسامية" على التحديات المحلية للامتيازات الطبقية لليهود ونفوذهم السياسي، وكذلك على التحديات الدولية للسيطرة الإسرائيلية. وبالتالي فإن نخب اليهود الأمريكيين أخذوا عملياً وعلى مرأى من الجميع يستغلون "اللاسامية" (هذه الظاهرة التاريخية الزاخرة بالمعاناة

(*) منظمة أمريكية عنصرية تشكلت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، واندثرت بعد عقد من الزمان، ثم أعيد إحياؤها مرة أخرى بعد عقود عدة من ذلك، ووصلت إلى أوج قوتها في العشرينيات من القرن الماضي. وتنادي المنظمة بتفوق العرق الأبيض، وتعادي الكاثوليك واليهود والملونين، وقد ارتكب منتسبوها العديد من الأعمال العنيفة. [المترجم]

والاستشهاد من جهة، والكراهية والتطهير العرقي من جهة أخرى) كسلاح عقدي للدفاع عن توسيع النفوذ العرقي وتيسيره. ويحذر ناثان وروث آن بيرلمتر من أن اللاسامية الحقيقية "التي لا يتم التصدي لها، يمكن أن تطلق مرة أخرى اللاسامية الكلاسيكية". في الواقع فإن العكس أقرب للصحة: إذ إن إساءة تصوير التحدي المشروع للامتيازات اليهودية والنفوذ اليهودي على أنه لاسامية، هو الذي يولد سخطاً غير عقلاني نحو اليهود، وسنعود لتناول هذا الأمر لاحقاً[14].

بالنظر لأن القوة المحلية لنخب اليهود الأمريكيين كانت راسخة بقوة، فقد تم استخدام هراوة اللاسامية بصفة أساسية لمهاجمة منتقدي إسرائيل. فوفقاً لناثان وروث آن بيرلمتر، فإن إسرائيل هي "الشغل الشاغل لليهود والذي لا خلاف بشأنه"، و"القضية المركزية لكينونتنا" - ولكن فقط إذا كانت إسرائيل شبيهة بإسبارطة وتخضع لسيطرة الولايات المتحدة[15]. منذ أواسط عقد السبعينيات، أخذت هذه الإسرائيل تتعرض للهجوم. فعندما انضمت منظمة التحرير الفلسطينية للإجماع الدولي بدعم التسوية السلمية على أساس قيام دولتين، تزايدت الضغوط على إسرائيل كي تنضم إلى هذا المسار، وبحسب المنطق المشوه الذي يطرحه ناثان وروث آن بيرلمتر، أصبحت إسرائيل "محاصرة في أحابيل العلاقات العامة المسماة "سلاماً". ولتجنب "هجوم السلام" من قبل منظمة التحرير الفلسطينية (على حد تعبير المحلل الاستراتيجي الإسرائيلي أفنير يانيف)، قامت إسرائيل باجتياح لبنان في حزيران/ يونيو 1982 [16]. بذل ناثان وروث آن بيرلمتر مشقة واضحة كي يقرا أن ناقدي إسرائيل لم يكونوا مدفوعين بالعداء لليهود، وإن كانوا "مشاركين في الجرم". فإذا كانوا يعترضون على سياسة إسرائيل، فإن ذلك إما بسبب السذاجة بالانجرار وراء "الموضة السائدة" في أيدلوجيات العالم الثالث (مثل معارضة "العنصرية"، و"التحيز ضد جنس معين"، و "الإمبريالية")، أو إنه نابع من حس انتهازي دنيء ناجم عن القلق على سعر النفط العربي[17]. أحد الاحتمالات التي لم ينظر بها ناثان وروث آن بيرلمتر هي أن

إسرائيل قد تكون على خطأ. اللاسامية الحقيقة لم تتضمن فقط المشتبه بهم المعتادين مثل المجلس القومي للكنائس الذي "دعا إسرائيل إلى أن تشمل منظمة التحرير الفلسطينية في مفاوضات السلام في الشرق الأوسط"، والأمم المتحدة التي "أصبحت ساحة للاعتداءات الشرسة ضد المصالح اليهودية" - كقيامها بدعم التسوية على أساس قيام دولتين. بل إن اللاسامية بعرف ناثان وروث آن بيرلمتر مصنفة بحسب الأذى الذي تتسبب به وإن يكن غير مباشر. أصبحت وعاء يحتوي على أشياء عديدة من ضمنها أولئك الذين يريدون "التخلص من الهيئة الانتخابية" (*) باسم الديمقراطية، مما سيؤدي إلى تقليص نفوذ الأمريكيين اليهود (الذين يتركزون في الولايات المتأرجحة)(**) وما يلازم ذلك من تضاؤل لتأثير اليهود على السياسة بشأن الشرق الأوسط؛ وأولئك الذين يدعون إلى حل سلمي للنزاعات وتقليص ميزانية الدفاع، والذين بسببهم "أصبح للحرب سمعة سيئة في هذه الأيام، وأخذت الصحف تفضل السلام"، وهذا ببساطة كارثة لإسرائيل؛ وأولئك الذين يعارضون الطاقة النووية، مما سيؤدي إلى زيادة "اعتماد الغرب على نفط منظمة الأوبك... وعبودية اقتصادنا للبترو - دولارات التي يعاد تدويرها"؛ وإلى آخره. وزيادة في التهافت على السخافة، يقترح ناثان وروث آن بيرلمتر أنه "حتى صحيفة نيويورك تايمز مذنبة"، إن لم يكن باللاسامية الصريحة فسيكون إذن... بإنكار الهولوكوست[18].

(*) (electoral college) الهيئة الانتخابية: في نظام انتخاب رئيس الولايات المتحدة، يتم تخصيص عدد معين من الأصوات لكل ولاية حسب عدد السكان، وهو يساوي عدد أعضاء مجلس الشيوخ للولاية (اثنين عن كل ولاية) إضافة إلى عدد النواب عن الولاية. إضافة إلى أصوات حاكم الولاية وكبار المسؤولين في الحزبين الرئيسين، وتشكل هذه الأصوات مجتمعة ما يسمى الهيئة الانتخابية. المرشح الذي يفوز بأكبر عدد من الأصوات في الولاية، يكسب جميع الأصوات في الهيئة الانتخابية عن الولاية. [المترجم]

(**) (swing states) الولايات المتأرجحة: مع مرور الوقت، تشكلت نزعة واضحة في نتائج تصويت الولايات المختلفة في الانتخابات الرئاسية، فهناك ولايات يكسبها دائماً المرشح الديمقراطي، وولايات أخرى يكسبها دائماً المرشح الجمهوري، وبقيت هناك ولايات يكسبها الديمقراطي أحياناً والجمهوري أحياناً أخرى، فأصبحت هذه الولايات هي ساحة المعركة الانتخابية الحقيقية، ومن ضمن هذه الولايات ولايات فلوريدا وأوهايو ونيوجيرسي. [المترجم]

obeikandl.com

وكما هو الحال مع دراسة فورستر - إبستين، ركز كتاب "اللاسامية الحقيقية" تركيزاً شديداً على اللاسامية بين مجتمع الأمريكيين السود. ووفقاً لناثان وروث آن بيرلمتر فإن أسوأ خطايا اليهود هي أنهم "ينزعون إلى الاهتمام بالجنس الإنساني ككل أكثر مما يهتم العالم [باليهود]"، وهي نزعة ناشئة عن "الموهبة الزائدة التي منحها الله لليهود بالعاطفة الطافحة". والمشكلة، باختصار، هي أن اليهود رائعون زيادة عن اللازم، وإلى درجة تضر بهم. وقد تجلى كرم اليهود بأوضح الصور في "دورهم الكبير في رعاية الجمعية القومية لتقدم الناس الملونين والرابطة الحضرية في نشأتهما الأولى من خلال جهود المحامين اليهود وواضعي الاستراتيجيات والنشطاء لمناصرة العدالة العرقية". فإن لم يكن الأمر عائداً إلى إنكار الفضل لدى السود، فكيف يمكن إذن تفسير بيانات الاستطلاعات العامة التي يستشهد بها ناثان وروث آن بيرلمتر والتي تظهر ازدياداً في عداء الأمريكيين السود لليهود؟[19] في الواقع، لقد نشأ التوتر بين السود واليهود بصفة جزئية عن نزاع طبقي بسبب مبادرة لدعم الفئات المستضعفة من خلال نظام الحصص التشجيعية، ما عارضته المنظمات الأمريكية اليهودية معارضة قوية، وهو أمر يقر به كتاب "اللاسامية الحقيقية"، وإن يكن إقراراً غير مباشر؛ كما نشأ عن نقص الدعم لإسرائيل من قبل مجتمع السود؛ وكذلك من اندفاع العنصرية البغيضة بين اليهود، والتي قليلا ما تمت مكافحتها[20]. وبشأن النقطة الأخيرة، لننظر إلى التفسير الذي قدمه ناثان و روث آن بيرلمتر لتوجه يهود نيويورك نحو التيار المحافظ بسبب أن حاراتهم في شمال منهاتن لم تعد آمنة من المجرمين بعد حلول الظلام: "يبدو أن الخوف والقذارة ينموان حيث ينتعش الفن والموسيقى والمسرح والمكتبات والناخبون ذوو النزعات التحررية". لمن يشير المؤلفان بوصفهما "الخوف والقذارة"؟ ووفقاً لهما، فكي تصفى الأمور بين السود واليهود، يتوجب على "السود" أن يظهروا دعماً أكبر لإسرائيل - لا توجد مفاجأة هنا -: "استنكار صريح وواضح ومتكرر لإساءات الأمم المتحدة ضد الشعب اليهودي؛ معارضة صريحة وواضحة ومتكررة للمجلس القومي للكنائس وتقاريره المشوهة حول

الشرق الأوسط؛ وفود إلى واشنطن لدعم أمن إسرائيل"(21). على الرغم من أن هذه المزاعم تثير الاشمئزاز، إلا أنه لا يمكننا أن نأخذ على ناثان وروث آن بيرلمتر عدم الاتساق في هذا المجال.

بهذا المنطق، لم يعد من الممكن نعت اليمين المتدين باللاسامية، إذ إنه تعهد بدعم الدولة المقدسة: "تعصب الأصوليين غير شديد الأذى حالياً، إذ إن صداقتهم لإسرائيل مفيدة". يتضح هنا الضعف الشديد في ارتباط اللاسامية "الحقيقية" بالموضوع الحقيقي واستنادها إلى نقد سياسات إسرائيل من خلال تفضيل ناثان وروث آن بيرلمتر لليمين المسيحي المشبع بالتعصب ضد اليهود، ولكنه "مؤيد" لإسرائيل، في مقابل البروتستانت التحرريين الذين لا يكنون أي عداء لليهود، ولكنهم "معارضون" لإسرائيل. يقول ناثان وروث آن بيرلمتر:

> *لماذا نشعر إذاً براحة أكبر اليوم مع القسيس بايلي سميث، قائد مؤتمر المعمدانيين الجنوبيين، الذي أعلن بجدية، "مع كل الاحترام لكل هؤلاء الناس العزيزين علينا: يا أصدقائي، ألا إن الرب العظيم لا يسمع لصلوات اليهود"، بأكثر ما نرتاح مع المجلس القومي للكنائس المتعاطف مع القضايا الاجتماعية؟ وبعد كل شيء، وحتى الآن لم يتخلَّ المعمدانيون الجنوبيون عن اتهامهم لنا بقتل المسيح، في حين قامت المنظمات التي تكون المجلس القومي للكنائس بتبرئة اليهود من هذه التهمة، حتى قبل انتهاء أعمال المجلس البابوي الثاني. لا تكمن الإجابة في ممارساتهم اللاسامية، بل في مواقفهم السياسية، فالمسيحيون الذين يعربون عن نزعات دينية في هذا الوقت وفي هذه البلاد، لا تزيد عملياً عن كونها معتقدات دينية شخصية، وليس لها إلا أثر قليل على الطريقة التي يعيش بها اليهود. أما نشاطاتهم السياسية التي تتعلق بأمن دولة إسرائيل، فهي تؤثر علينا بصفة أعظم كثيراً بالمقارنة مع تأثير اعتقاد الجار المسيحي أن الرب لا يسمع سوى صوته هو.*

وبهذا المعيار، فإن جيري فالويل من منظمة الأكثرية الأخلاقية، وبات

(*) جيري فالويل و بات روبرتسون قسيسان من قادة اليمين المسيحي في الولايات المتحدة، وكثيراً ما يصدران تصريحات تتسم بالتعصب والعنصرية.

روبرتسون(*) من شبكة البث المسيحية يمتلكان المؤهلات المطلوبة. وعلى الرغم من أن مواقفهما الدينية الأصولية تفوح باللاسامية، فليس الأمر مهما طالما قدما دعمها لإسرائيل المحصنة. ويقول ناثان وروث آن بيرلمتر مقتبسين عنوان أغنية شهيرة ظهرت في أثناء الحرب العالمية الثانية، "لنسبّح الرب، ونمرر الذخيرة". في الواقع لم يسبّح المؤلفان اليمين المسيحي فقط، بل أصدرا له البراءة أيضا: "نادراً ما عانى أحد المعتقدات الدينية من تلطيخ السمعة كما عانى الأصوليون. وكما هو حال التنديد بالصهيونية إذ استخدم كقناع للاسامية الصريحة، فإن المغالاة في وصف منظمة الأكثرية الأخلاقية ومنظمة المائدة المستديرة الدينية أثرت في صورة الأصوليين". على الرغم من أن هذا التشبيه لا يستحق التعليق، إلا أنه ينبغي إحالة الفضل إلى ناثان وروث آن بيرلمتر في مقارنة الصهيونية بصفة دقيقة وواضحة (كما يريانها على الأقل)، مع منظمة الأكثرية الأخلاقية[22].

أخيراً، وبعيداً عن إكالة المديح لإسرائيل، فمن أجل أن يدرج المرء في قائمة ناثان وروث آن بيرلمتر لمناهضي اللاسامية، يتعين عليه أن يكون متشدداً في مكافحة الجريمة ("من الجدير في الوقت الذي نعيش فيه والذي تنتشر فيه الجريمة أن نولي الأولوية إلى الدفاع عن الضحايا")؛ كما يجب أن يكون المرء مناهضاً لنظام الحصص التشجيعية ("لقد شكل هذا التمييز المقلوب عقاباً متعسفاً واضحاً على الأفراد البيض")؛ كما يجب أن يناصر المواقف العسكرية العدائية التي تتخذها حكومة الولايات المتحدة، وزيادة الميزانية العسكرية زيادة كبيرة ("من أجل العمل بصفة أصدق لحرمان توسع الخطر [السوفييتي] على السلام العالمي"). وحول هذه النقطة الأخيرة، أشار ناثان وروث آن بيرلمتر للمفارقة الظاهرة من أن رابطة مكافحة التشهير تبدو "كمنظمة محافظة مؤيدة للدفاع... أكثر ممّا تبدو وكالة يهودية لحقوق الإنسان"[23]. ولكن في طبيعة الحال، ليس في الأمر أي مفارقة: فإذ أخذت رابطة مكافحة التشهير تعكس مصالح النخب اليهودية، فقد أصبحت حصناً من حصون السياسة الانفعالية.

وكما هو الحال مع كتاب "اللاسامية الجديدة"، فإن مقدمة كتاب "اللاسامية الحقيقية" تنوه بإسهام إبراهام فوكسمان (رئيس رابطة مكافحة التشهير) في

الكتاب. وفي الوقت الذي أصبح فيه فوكسمان خلفاً لناثان بيرلمتر كرئيس رابطة مكافحة التشهير، فإنه أصبح أيضاً الراعي الحقيقي لإنتاجات "اللاسامية الجديدة". وفي الوقت الذي اتجهت فيه إسرائيل نحو أزمة جديدة في خريف عام 2000، فقد كان عارفاً تماماً الأوتار التي يتعين عليه شدها والأزرار التي يتعين عليه ضغطها.

obeikandl.com

2

إسرائيل
"اليهودي بين الأمم"

أشار أرسطو طاليس في كتابه "السياسة"، إلى أن "ما يصبح عليه أي شيء عندما يكمل تطوره، هو ما ندعوه طبيعة هذا الشيء". وبهذا المعنى، فإن الاستعادة الأخيرة للاسامية تكشف عن جوهرها الحقيقي. على الرغم من أن كتاب إبراهام فوكسمان "لن يحدث مرة أخرى أبداً؟ خطر اللاسامية الجديدة" (2003) يتضمن الركائز المعتادة، مثل الفصول المكرسة لبلهاء التيار اليميني ("الخطر في اليمين: العنف والتطرف في العمق الأمريكي")، والأفارقة الأمريكيين ("تحالف مضطرب: الصدع بين الأمريكيين السود واليهود")، وحالما بدأ هذا الإنتاج بالخروج إلى العلن، فقد أسقطت كل الادعاءات بأن هذا الكتاب مهتم بأي شيء ما عدا إسرائيل. إضافة إلى ذلك، فقد تم التخلي عن التمييز بين اللاسامية "الحقيقية" و "الكلاسيكية". في كتاب "اللاسامية الحقيقية"، نزع ناثان وروث آن بيرلمتر صفة الشيطانية عن اللاساميين، وجعلا منهم مجرد أغيار، لهم "مصالح" تتعارض مع مصالح اليهود. ولكن حالما أخذت السياسات الإسرائيلية غير القانونية وغير الأخلاقية تتعرض للتمحيص، كان الدفاع الوحيد المتوافر هو إعادة إسباغ الصفة الشيطانية على ناقدي إسرائيل، والزعم أنهم من كارهي اليهود التقليديين. وأخيراً، فبينما صور كتاب "اللاسامية الجديدة" الأول المنظمات اليسارية الهامشية مثل الحزب الشيوعي وحزب العمال الاشتراكي على أنها في قلب ظلام اللاسامية، إلا أن الاستعادة الحالية وضعها التبريريون لإسرائيل، إذ أخذوا يميلون نحو أقصى يمين الطيف السياسي، فقد شرعوا يصورون منظمات التيار العام مثل منظمة العفو الدولية ومنظمة هيومان رايتس ووتش على أنها في قلب ظلام اللاسامية.

إن العبارة السائدة في "اللاسامية الجديدة" المتجددة هي أن إسرائيل أصبحت "اليهودي بين الأمم". وهذا ما يبرز في الأطروحات الآتية: "لقد أصبحت إسرائيل سريعاً يهودي العالم" (فيليس تشيسلر، اللاسامية الجديدة)؛ "لقد أصبحت إسرائيل، من الناحية الفعلية، كيهودي جمعي بين الأمم" (مورتمير ب. زوكرمان، "اللاسامية الجديدة")؛ "إذا كانت اللاسامية الكلاسيكية تستند إلى التمييز ضد الدين اليهودي، فإن اللاسامية الجديدة تستند إلى التمييز ضد اليهود كشعب - وما تتجسد به هذه العبارة بدولة إسرائيل" (إيرون كوتلر، "حقوق الإنسان واللايهودية الجديدة")؛ "دولة إسرائيل... تحولت إلى "يهودي الأمم" (غارييل شونفيلد، عودة اللاسامية)[1]. وكما كان الحال مع كتاب "اللاسامية الجديدة"، عمل المبررون لإسرائيل على إعادة استخدام هذا التوصيف لإسرائيل على أنها ضحية يهودية جمعية للتحيز اللاسامي. وقد أشار ناثان وروث آن بيرلمتر في دراستهما التي أعداها عام 1982 إلى "التحول... من اللاسامية ضد اليهود إلى اللاسامية التي موضوعها ممثل اليهود: إسرائيل"، في حين أعرب بروفيسور القانون في جامعة هارفرد، ألان ديرشويتس، في سيرته الذاتية التي نشرها عام 1991 عن استنكاره "للشكل الأحدث من مناهضة اليهودية"، وأوضح أنه "من المستحيل أن نفهم لماذا تتلقى إسرائيل كل هذا الاهتمام - وخصوصاً الانتقاد - دون أن نميز أن إسرائيل هي "اليهودي بين الأمم"[2]. وعلى أي حال، فالسبب المطروح لتفسير هذا الأمر أن إسرائيل كونها تمثل "اليهودي بين الأمم"، فإن انتقاد إسرائيل ينبثق من البئر المسمومة التي تنبثق منها اللاسامية، ولذلك فإن هذا النقد، وبحكم التعريف، نابع من اللاسامية. وكون آخر انتشار كبير للاسامية قد وصل إلى ذروته في الهولوكوست، فإن الذين ينتقدون إسرائيل حالياً يحاولون إثارة هولوكوست جديدة. وينذر أبراهام فوكسمان في كتابه "لن يحدث مرة أخرى أبداً؟" من أن "الوجود الفعلي للشعب اليهودي قد يتعرض للتهديد من جديد". إن الدافع الواضح وراء هذه المزاعم هو تلطيخ أي نقد لإسرائيل على أنه نابع من اللاسامية، وكذلك - بقلب الواقع رأساً على عقب - من أجل تحويل إسرائيل (واليهود) ولا الفلسطينيين، إلى ضحايا "للحصار الحالي" (تشيسلر)[3].

ومع ذلك، عرضت روث وايس البروفيسورة في جامعة هارفرد، وأحد أشد المبررين لإسرائيل، الميزة السياسية والعقدية الرئيسة من لعب ورقة اللاسامية،

وذلك بصفة موجزة (وإن يكن بصفة خرقاء أيضاً)، إذ أوضحت أنه "في حالة ما يسمى الصراع العربي - الإسرائيلي، فإن السماح بإدخال فكرة اللاسامية إلى النقاش يؤدي إلى الإقرار بأن أصل المعارضة العربية للدولة اليهودية يكمن في الثقافة السياسية للعرب أنفسهم، وأن مثل هذه المعارضة لا يمكن أن تنتهي إلا عندما تتغير هذه الثقافة السياسية"(4). هذا الطرح يزيح المسؤولية الأساسية للتسبب في النزاع من إسرائيل إلى العرب، فلم تعد القضية قيام اليهود بتجريد الفلسطينيين، ولكن "معارضة" العرب لليهود، وتنزاح المسؤولية الأساسية لحل النزاع من إنهاء إسرائيل لاحتلالها، وتقع على الحرب كي يعملوا على إنهاء عدائهم غير العقلاني نحو اليهود. يزعم المبررون لإسرائيل أنهم يسمحون بالنقد الموجه "للتجاوزات" الإسرائيلية التي تحدث من حين إلى آخر (والذي يطلق عليه "النقد المشروع")، أما حصيلة هذا السماح فهو إزالة الشرعية عن القدر الأعظم من النقد بوصفه يندرج ضمن اللاسامية - تماماً كما اعتادت الأحزاب الشيوعية على السماح بالنقد الموجه "للتجاوزات" الستالينية التي تحدث من حين إلى آخر، في حين تشجب النقد المبدئي بوصفه يندرج ضمن "مناهضة الشيوعية"، وبالتالي فلا تسامح بشأنه. في الواقع، على العكس من مزاعم مثيري الهستيريا في أماكن مثل الولايات المتحدة وألمانيا، فإن إسرائيل لا تواجه في الواقع العملي أي نقد متواصل. إن المزاعم بانتشار اللاسامية الجديدة تستخدم من أجل إسكات النسبة الضئيلة من التغطية الإعلامية التي تنفذ من الضوابط العقدية. ففي أماكن مثل بريطانيا، حيث التغطية الإعلامية أفضل بصفة واضحة، تكثر الشكاوى من أن الإعلام مؤيد للعرب ويتسم باللاسامية، وعلى الرغم من ذلك فإن المحللين الجادين للإعلام أظهروا أن هناك تحيزاً واضحاً في الإعلام البريطاني، ولكن لصالح إسرائيل(5).

لا تبذل فيليس تشيسلر في كتابها "اللاسامية الجديدة" أي جهد يذكر لإخفاء أن مزاعم انتشار اللاسامية ما هي ببساطة سوى ذريعة للدفاع عن إسرائيل. إذ تجدها تنسخ من مواقع إنترنت "مؤيدة" لإسرائيل، وتكرس ثماني صفحات لسرد "تاريخ مختصر للاعتداءات العربية على إسرائيل، 1908 - 1970"، ولكنها لا تذكر كلمة واحدة عن الاعتداءات الإسرائيلية على العرب، كما تكرس أربع صفحات

لموضوع "حالات الإرهاب العربية الأخيرة ضد إسرائيل"، ولكنها لا تذكر كلمة واحدة عن الإرهاب الإسرائيلي ضد العرب. وتقول تشيسلر: "لقد حدثت تسع حروب إسرائيلية كبرى دفاعاً عن النفس خلال السنوات الخمس والخمسين الماضية"، ولكن يبدو أن العرب لم يكونوا في أي من هذه الحروب يدافعون عن أنفسهم من الهجمات الإسرائيلية، على الرغم من أن تعدادها لهذه الحروب يشمل، ضمن أمثلة مريبة متعددة، الاجتياح الإسرائيلي لسيناء عام 1956، والاجتياح الإسرائيلي للبنان عام 1982، والانتفاضتين الفلسطينيتين ضد الاحتلال الإسرائيلي في العامين 1987 و 2000. أما ما يصل إلى الحدود القصوى "للنقد المسموح"، فهي تتسامح بأنه "ربما يمكن المحاجّة بأن اليهود أو بعض الأفراد الإسرائيليين يمكن أن يتحملوا مسؤولية أخلاقية" عن مذبحة صبرا وشاتيلا. وعلى الرغم من أنها تقر بأنها "ليست مطلعة على شؤون الجيش أو خبيرة في هذا المجال"، فهي تستنتج أن "السيطرة الإسرائيلية على الحدود ونقاط التفتيش والطرق بين النهر والبحر في الضفة الغربية وغزة" هي "على الأرجح مسألة حيوية الآن لسلامة إسرائيل"؛ ومع ذلك فهي تخفق كلياً في النظر إلى ما يمكن أن يحتاجه الفلسطينيون لسلامتهم هم، أو حتى للبقاء فقط[6].

انطلقت فضيحة مختلقة في تشرين الثاني/ نوفمبر 2003، حين تم توجيه اتهام لمركز المراقبة الأوروبي المعني بالعنصرية وكراهية الأجانب بأنه عمل على منع ظهور تقرير مهيج حول اللاسامية في الاتحاد الأوروبي. وأعلن رئيس الكونغرس اليهودي العالمي، إدغار برونفمان أن المفوضية الأروبية "مذنبة" بتهمة "اللاسامية"؛ لأنها قامت "بمنع" التقرير، وذلك على الرغم من أن مركز المراقبة الأوروبي مستقل مؤسسياً. وصرح المركز في دفاعه أنه تم التفويض بإعداد التقرير، وعنوانه "تجليات اللاسامية في الاتحاد الأوروبي"، ولكن لم يوزع لأنه ينطوي على "تحيز" كما "يفتقر إلى الأدلة المادية". وعبر خافيير سولانا، المسؤول عن السياسة الخارجية للاتحاد الأوروبي، عن رأي مشابه؛ إذ قال: إن التقرير "لا يفي بمعايير الاتساق والجودة في بياناته"[7]. في الواقع، فإن البيانات التي يجمعها تقرير "تجليات اللاسامية في الاتحاد الأوروبي"، والمعايير التي يستخدمها لقياس اللاسامية، والنتائج التي توصل لها تثير السخرية. ومع ذلك، كان التقرير أكبر مشروع لتقديم سرد دقيق لحالات اللاسامية الجديدة

obeikandl.com

حتى تاريخ صدوره، وكان هذا أحد الأسباب التي دفعت المبررين لإسرائيل على ترويجه، وكون التقرير ركز بصفة خاصة على الحقبة التي شهدت ذروة هذه اللاسامية الجديدة، فإن الزعم بأن كراهية اليهود شائعة في أوروبا يصمد، أو يسقط بحسب استنتاجات التقرير، وصدر تقرير "تجليات اللاسامية في الاتحاد الأوروبي" عن مركز المراقبة الأوروبي المعني بالعنصرية وكراهية الأجانب، ومقره في الجامعة التقنية في برلين (Zentrum für Antisemitismusforschung - ZfA)، ويحمل التقرير جميع السمات التي تميز الثقافة الألمانية العامة في كل ما يخص اليهود وإسرائيل، ففي حين كانت ألمانيا في السابق المركز الأوروبي للاسامية، فقد أصبحت الآن المركز الأوروبي لحب السامية: فمن ناحية، يعمد المسؤولون الرسميون، ووسائل الإعلام من باب "اللياقة السياسية"، ولكن بحس انتهازي إلى تصيّد العدد القليل المتناثر من الأشخاص الذين يكنون مشاعر لاسامية، وبأسلوب أشبه ما يكون بصيد الساحرات في العصور الوسطى؛ ومن ناحية أخرى، نجد المبررين لإسرائيل يستغلون الفظائع النازية التي حدثت في الماضي؛ كي يقوضوا أي انتقاد للقادة اليهود، أو إسرائيل، ويكبتوا الحوار العام في هذا الشأن، مما يؤجج مشاعر السخط الشخصية[8].

لم تكن هذه هي المرة الأولى التي يتم التلاعب فيها بالرأي العام الألماني من أجل محاربة سراب "اللاسامية الجديدة". ففي عام 1981، وعندما تزايدت الضغوط على إسرائيل؛ كي تتفاوض على تسوية على أساس قيام دولتين مع الفلسطينيين، أصدرت منظمة "اتحاد اليهود والمسيحيين" إعلانا بعنوان "حول خطر اللاسامية الجديدة" بمناسبة يوم الكنيسية التبشيرية الألمانية، وحذر الإعلان من أن "علامات العودة إلى العداء نحو اليهود تتزايد حاليا"، وزعم التقرير بصفة محددة أنه "خلف الانتقادات الموجهة للحكومة الإسرائيلية... تبدو للعيان اللاسامية المعهودة"[9]. وبمثل ذلك، فإن الخيط الذي يمر عبر تقرير "تجليات اللاسامية في الاتحاد الأوروبي" الذي ألفه ألمان، هو مساواة انتقاد إسرائيل باللاسامية: "إن تقليد إسباغ الصفات الشيطانية على اليهود في الماضي، يتم تحويله الآن إلى دولة إسرائيل". وكذلك تمت الإشارة إلى "النقد الشديد للسياسات الإسرائيلية من جميع فئات الطيف السياسي"

بوصفه إثباتا على "الطبيعة الخطيرة" للاسامية الجديدة، للنظر إلى هذا المثال المعقد المدرج تحت بند "أشكال التحييز اللاسامي": "في حين يتواصل الإقرار بوضع الضحية التاريخي لليهود، إلا أن هذا الإقرار لم يعد يتحول إلى دعم لإسرائيل من قبل العديد من الأوروبيين، وإن السياسات الإسرائيلية نحو الفلسطينيين توفر أسبابا لشجب اليهود كمرتكبين للمظالم، مما يوهن وضعهم الأخلاقي كضحايا، والذي استحقوه بسبب حدوث الهولوكوست. إن الروابط بين مشاعر اللاسامية والمشاعر المناهضة لإسرائيل تكمن في هذه الفرصة لتبديل دور الضحية ومرتكب المظالم". وبمعنى آخر، فعلى الرغم من أن الأوروبيين يقرون بمعاناة اليهود أثناء الهولوكوست النازية، إلا أنهم ما زالوا لاساميين؛ لأنهم لا يدعمون إسرائيل دعما تلقائيا بسبب اعتقادهم أن اليهود يمكن أن يرتكبوا مظالم. إضافة إلى ذلك، يسرد التقرير تحت البند "التحيز اللاسامي الشائع" مسألة "الافتراض بوجود علاقة وثيقة بين الولايات المتحدة وإسرائيل"، وكذلك الاعتقاد بأن لليهود "تأثيرا كبيرا على سياسات الولايات المتحدة التي يزعم بأنها محابية لإسرائيل" والاعتقاد بأن إسرائيل تديم حالة من "العزل العنصري"، و "التطهير العرقي"، و "جرائم ضد الإنسانية"(10).

إن عرض عينة مما يسرده التقرير من حالات "اللاسامية" في بلدان الاتحاد الأوروبي يوضح المعنى الحقيقي للاسامية الجديدة، ومن الجدير بالذكر أن البيانات التي تم جمعها في تقرير "التجليات" أتت بصفة أساسية من الحقبة التي شهدت ذروة التعاطف مع الفلسطينيين والعداء نحو إسرائيل. **بلجيكا** - "في أثناء تظاهرة مؤيدة للفلسطينيين،... تم تحطيم زجاج بعض النوافذ، كما تم حرق العلم الإسرائيلي"؛ **إيرلندا** - "تلقت السفارة الإسرائيلية عددا من المكالمات الهاتفية المعادية خلال الشهر الأخير"؛ **إسبانيا** - "العديد من الشباب الإسبان يعتبرون دعم منظمة التحرير الفلسطينية أمرا أساسيا؛ كي يعتبر المرء "تقدميا" أو يساريا"؛ **إيطاليا** - "أثناء مؤتمر [الحزب الشيوعي]، كان هناك عدد من الأغراض تشير صراحة إلى فلسطين: العلم الفلسطيني، كتاب ألفه ممثل السلطة الوطنية الفلسطينية في إيطاليا،... وكوفية، غطاء الرأس العربي التقليدي"؛ **هولندا** - "قامت غريتا دويسنبرغ، زوجة ويم دويسنبرغ رئيس البنك المركزي الأوروبي" بتعليق علم

فلسطيني من شرفة منزلها"؛ **البرتغال** - "تلقت السفارة الإسرائيلية مكالمات هاتفية مسيئة ورسائل إلكترونية محتواها تهجمي"؛ **فنلندا** - "قامت الحركات المؤيدة للفلسطينيين بتوزيع منشورات في مناسبات عديدة، وقد ورد في بعض هذه المنشورات... طلب من الناس القيام بمقاطعة البضائع الإسرائيلية للمساعدة في تحقيق السلام في إسرائيل"[11].

إذا كان أي نقد لإسرائيل يشكل عمليا حالة من اللاسامية، فليس من المفاجئ إذًا أن يتجاوز مدى اللاسامية الجديدة حدود الخيال، إضافة إلى المشتبه بهم المعتادين مثل العرب والمسلمين والعالم الثالث بصفة عامة، وكذلك أوروبا والأمم المتحدة، تتضمن قائمة اللاساميين التي أعدتها المؤلفة تشيسلر "منظمات حقوق الإنسان الدولية التي تعمل من الغرب، والأكاديميين، والمثقفين"؛ "الغربيين المناهضين للرأسمالية، والمناهضين للعولمة، والمؤيدين للمحافظة على البيئة، والفوضويين"، وكذلك النشطاء "المناهضين للحرب"؛ "الحركات النسائية التقدمية"، والحركات النسائية اليهودية" ("الحركات النسائية الأمريكية اليهودية توقفت عن الكفاح من أجل حقوق المرأة في أمريكا، وبدأت تكافح من أجل حقوق منظمة التحرير الفلسطينية")؛ وسائل الإعلام الليبرالية واليسارية الأمريكية والأوروبية" مثل مجلة تايمز، ووكالة أستوشيتد برس، ووكالة رويترز، وصحيفة واشنطن بوست، وصحيفة لوس أنجلس تايمز، وصحيفة نيويورك تايمز، وصحيفة غارديان البريطانية، وصحيفة تورونتو ستار، ومحطة إذاعة بي. بي. سي، وإذاعة إن. بي. آر، ومحطة سي. أن. أن التلفزيونية، ومحطة أيه. بي. سي.، إضافة إلى العديد من الإسرائيليين مثل المرحوم "يشاياهو ليبوفيتز من الجامعة العبرية"- وهو يهودي أرثوذوكسي، وأحد أشهر المثقفين الإسرائيليين، وتضيف تشيسلر أيضا لأسباب وجيهة أن "أي شخص ينكر أن الأمر على هذه الشاكلة هو لاسامي". فلا عجب إذًا أن تشيسلر ترى العالم يفيض بلاسامية "من المستوى النازي": "إن الأمر، وكأن قمصان هتلر البنية عادت من بين الأموات، وبأعداد أكبر، ويقومون بنشاطات ليلة الكرستال(*) كل يوم، وفي كل

(*) Kristallnacht ليلة الكرستال، وتعني حرفيا (ليلة الزجاج المحطم). جرت في ليلة 9 تشرين الثاني/ نوفمبر 1938 هجمة واسعة في ألمانيا والنمسا ضد منازل اليهود ومتاجرهم ومعابدهم، وخلفت الهجمة دمارا واسعا والعديد من القتلى والجرحى. [المترجم]

obeikandl.com

مكان". حتى في الولايات المتحدة، فإن اللاسامية واسعة الانتشار، بحيث إن هؤلاء الذين يجرؤون على انتقادها "يلبسون النجمة الصفراء(*)". وسط هذا التضخيم السخيف تقارن تشيسلر بين الميل الشرقي "للإفراط في المبالغة" مع "معاييرها الغربية في سرد الحقيقة والموضوعية".

ولتوضيح مدى اتساع اللاسامية الجديدة، فإنها تستفيض بتشبيهات وكنايات غريبة: "هناك مسموحية مثيرة للمشاعر في الجو العام - من نوع الواقع المشحون والمتيقظ الذي يختبره مستخدمو العقاقير المخدرة، أو المصابون بالصرع قبل حدوث النوبة"؛ "الصور المزيفة للمذابح الإسرائيلية المزعومة دخلت الآن إلى مخيلة الملايين من الناس، فمثل صور العري، هذه الأفكار لا يمكن نسيانها"، "الأمر أشبه ما يكون لفيروس مكافئاً الأيدز قد أطلق على العالم"؛ "فأن تكون يهوديا يعني أن تعيش تحت الخطر، وعلى الهامش، بقلب مفتوح "ومكلوم". ما كل هذا! "مستخدمو العقاقير المخدرة"، و"المصابون بالصرع"، و"صور العري"، و"مرض الأيدز"، و"قلب "مختون" - إن المرء ليعجب ما إذا كانت تشيسلر في كتابها الشهير "النساء والجنون" تتحدث عن نفسها(12)، فتقوم تشيسلر بتوبيخ وسائل الإعلام أيضا بسبب "هوسها في التركيز" على معاملة إسرائيل للفلسطينيين، مما يشكل "ترفا مشتتا الانتباه"، وتقترح أنه من الجدير بوسائل الإعلام التركيز على "المشكلات الكبرى التي تؤثر على أغلبية" سكان العالم، وبالطبع فإن "الهوس في التركيز" على المعاناة، والاضطهاد المفترضين للأقلية العرقية الأكثر ازدهارا في أمريكا لا يشكل "ترفا مشتتا للانتباه"(13).

يمكننا أن نعد تشيسلر مثالا للرصانة إذا ما قارناها مع محرر مجلة "كومنتري"، غابريل شونفيلد. فوفقا له، لقد تجاوزنا ليلة الكرستال في أمريكا، ودخلنا في مرحلة الحل النهائي(**) ويقول شونفيلد "الحقيقة الساطعة هي أن هناك شيئا غير مسبوق يحدث حاليا: إذ يتم استهداف اليهود في إمريكا من أجل قتلهم"، أما القائمة

(*) النجمة الصفراء، من رموز قمع النازيين لليهود، إذ أرغمت بعض السلطات المحلية اليهود على لبس شريط على الذراع وعليه نجمة صفراء لتمييزهم عن بقية السكان. [المترجم]

(**) الحل النهائي للمسألة اليهودية: أي خطة التطهير العرقي ضد يهود أوروبا خلال الحرب العالمية الثانية.[المترجم]

السوداء لِلأَّساميين، فلا تنحصر بالأعداء المألوفين "مؤيدي الحفاظ على البيئة، ومعارضي الحرب، والفوضويين، ومناهضي العولمة، والاشتراكيين"، بل تشمل "الصحافة السائدة في بريطانيا وأوروبا" (مثل لوموند، وإيكونومست) إضافة إلى "التلفزيون الفرنسي الإخباري"، ومحطة بي. بي. سي»؛ "المنظمات الليبرالية واليسارية، مثل منظمة هيومان رايتس ووتش ومنظمة العفو الدولية"؛ والكاتبة في صحيفة نيويورك تايمز، مورين داود، ومذيع برنامج هارد بول، كريس ماثيو؛ وغيرهم، كما يعد من ضمن اللاساميين أولئك الذين يستخدمون "مصطلح "المحافظين الجدد"؛ لأنه مصطلح "مقنّع ومرادف لكلمة "يهودي"، فلندع جانبا الافتراض المشكوك بأمره من أن استخدام هذا المصطلح يحمل في طياته هذا المعنى المزعوم، ولندع جانبا أن معظم مؤسسي حركة المحافظين الجدد هم من اليهود (الفخورين بذلك)، إذا كانت تسمية "المحافظين الجدد" تنطوي على لاسامية، فما هو حال المحافظين الجدد من اليهود الذين يحومون حول مجلة كومنتري، والذين أطلقوا هذه التسمية، ويستخدمونها لتمييز أنفسهم؟[14].

ولكن ما يضع سرد شونفيلد في فئة خاصة هو الطيف غير العادي من اليهود الذين يدرجهم ضمن اللاساميين. فوفقا له، تنبثق اللاسامية الجديدة بصفة أساسية من اليسار السياسي، على الرغم من أن اليهود يسيطرون على هذا اليسار اللاسامي، وبمعنى آخر، فإن الفصيل الأكبر في اللاسامية الجديدة هو "فصيل يهودي إلى حد كبير"؛ ومن جديد، "اليهود المنتمون لليسار" هم "طليعة" اللاسامية الجديدة، وعلى الرغم من سخف هذا الطرح، فليس من المفاجئ أن نرى نعوم تشومسكي مصنفا مع اللاساميين في كتاب شونفيلد، فلقد أصبح تشومسكي محط كراهية المبررين لإسرائيل، إذ إنه أشد النقاد المبدئيين للسياسات الإسرائيلية، ولكن مما يثير الاستغراب أن شونفيلد يعامل بمثل هذه المعاملة أشخاصا، مثل الحاخام مايكل ليرنر من مجلة تيكون، و دانيال بويران "من مشاهير الباحثين في الدراسات اليهودية في الولايات المتحدة" (بحسب وصف شونفيلد). ولكن يبدأ المرء يشك بالفعل بالسلامة العقلية لشونفيلد، حينما يبدأ بالتشكيك في سلامة طوية ليون ويزلتير، المحرر المتعصب في تأييده لإسرائيل لمجلة "نيو ريببلك" المتعصبة في تأييدها لإسرائيل، فبسبب تشكيك ويزلتيزر بدنو حل نهائي آخر،

فقد ارتكب خطيئة التقليل من شأن اللاسامية، إن لم يكن إنكار وجود اللاسامية، و يبدو أن الثورة تبتلع أبناءها[15].

جمع رون روزنباوم مجموعة مقالات لكتاب متعددين، وأصدرها في كتاب بعنوان "أولئك الذين ينسون الماضي: مسألة اللاسامية"، ويتشابه هذا الكتاب من الناحية الأخلاقية والفكرية مع الاستلهامات الواردة في كتابي تشيسلر وشونفيلد[16]. علق الصحفي ألكسندر كوكبورن تعليقا طريفا حول المجلات الدورية التي تصدر عن أوساط المحافظين الجدد، وقال: إنها تصل إلى عتبة البيت مغلفة بشبكة عنكبوت، ويمكن وصف كتاب روزنباوم بعبارة شبيهة، فقد تم إعداد الكتاب قبل أو بعد مدة وجيزة من الحرب في العراق، وتم نشره في أواسط العام 2004، ولهذا فإن عدد من المقالات التي كتبت لتضمينها في الكتاب تشكل مادة محرجة لمؤلفيها [على ضوء ما حدث فعلا خلال الحرب]. فها هي باربرا آميل الكاتبة الصحفية في صحيفة ديلي تلغراف تشيد بـ "القنابل التي تزن 16.000 طنا، والمزودة بفتيل تفجير من نوع قاطع الإقحوان(*)"؛ لأنها وفرت "دفعة" اشتدت الحاجة إليها "للمتصلبين في العالم العربي/ الإسلامي". بينما أشارت الصحفية ماري برينير من مجلة فانيتي فير إلى المعارضة الفرنسية للهجوم الأمريكي، بوصفها برهانا قاطعا على التقارير حول اللاسامية المنتشرة بين الفرنسيين، فقد عارض الفرنسيون الهجوم "حتى عندما كان المواطنون في بغداد يرحبون بالقوات الإمريكية علانية"-- مما يوضح السبب الحقيقي وراء الهستيريا حول اللاسامية، وتستشهد الكاتبة بهذا الترحيب الذي لم يدم سوى مدة أسبوع، وربما أقل، ولتوضيح العقلية "النازية" لمختطفي دانيل بيرل(**)، ركز الكاتب ثان روزنباوم على نوعية تسجيل شريط الفيديو الذي

(*) daisy cutter bombs: هذا النوع من القنابل الضخمة مزود بقضيب مستدق على مقدمة القنبلة، وفي نهايته فتيل للتفجير (يسمى فتيل قاطع الإقحوان)، والغرض منه هو زيادة تأثير التفجير إلى الحد الأقصى، إذ إن القنابل غير المزودة بهذا الفتيل تدخل في التراب لمسافة معينة بفعل وزنها وسرعتها الكبيرين، ومن ثم تنفجر، مما يخفف من حدة الانفجار، أما القنابل المزودة بهذا الفتيل، فتنفجر قبل أن تدخل في التراب مما يوسع مدى تأثير الانفجار وشدته، بناء عليه يضاعف الأضرار الناجمة عن الانفجار إلى الحد الأقصى. [المترجم]

(**) دانيال بيرل، محقق صحفي يعمل لصحيفة وول ستريت جورنال، استدرجه خاطفون في باكستان في كانون الثاني/ يناير 2002 ومن ثم قتلوه بقطع رأسه، وتم تصوير عملية القتل وتوزيع الفيلم على وسائل الإعلام.

obeikandl.com

صور عملية قطع رأسه التي تتسم "بالشبق، كما في تصوير التعري"، ويركز بصفة خاصة على "الإذلال" الذي عانى منه بيرل أمام الكاميرا، فهل يا ترى سيتعمد الآن أيضا على تأمل ما تعنيه الصور وأفلام الفيديو التي تم تصويرها في سجن أبو غريب حول عقلية أولئك الذين احتجزوا العراقيين، وقادتهم الذين وافقوا على أساليب التحقيق؟ الكاتب المسرحي ديفيد ماميت، وهو أحد هؤلاء الذين يعدون من الخبراء في موضوع اللاسامية، والذين تم اختيارهم لكتابة مقال في كتاب روزنباوم، يقترح بأن العالم "مدين لليهود" لأنه "لو لم تقم إسرائيل في عام 1981 بقصف المفاعل النووي العراقي، قبل بضعة أسابيع من بدء إنتاج مواد لقنبلة نووية، لكانت نيويورك بأكملها (لا سمح الله) قد تهدمت"، إلا أن المفاعل النووي العراقي لم يكن ينتج أسلحة نووية؛ وربما كان القصف الإسرائيلي هو ما حدا بصدام حسين؛ كي يبدأ ببرنامج لصنع الأسلحة النووية؛ كما أن العراق ليس له أي علاقة بالهجوم على مركز التجارة العالمي، إذاً ليس العالم مدينا لإسرائيل، وفقا لروبرت ويستريخ من الجامعة العبرية، وأحد المسهمين في الكتاب، فإن "عراق صدام يوفر تأكيدا مشؤوما" على المظهر "النازي" الذي يلف العالم العربي في "تصميمه على تطوير أسلحة دمار شامل واستعداده لاستخدامها"، في حين أن هزيمة صدام، ولحسن الحظ أزالت "شبح الأسلحة القاتلة في يد دكتاتور قاسي"، ويغفل الكاتب أنه لم يتم الكشف عن أية أسلحة دمار شامل، وأن برامج صناعة تلك الأسلحة قد تم التخلي عنها منذ زمن طويل(17).

أخيرا، وما دمنا نتحدث عن شبكة بيت العنكبوت، فقد كتبت الروائية سينثيا أوزيك خاتمة كتاب روزنباوم، وأعادت الألحان التي اعتادت أداءها، إذ تبدأ الخاتمة بملاحظة دراماتيكية، "لقد اعتقدنا أن الأمر انتهى، وأن الأفران بردت منذ زمن... صرخات العراة... دفاتر الطرد... لقد اعتقدنا أن الأمر انتهى...بسذاجة، بحمق، ببلاهة، بأمل، بحس غير تاريخي، اعتقدنا أن الكراهية المتوحشة، طالما أخمدت مرة، فلن تستيقظ مرة أخرى، ولكنها استيقظت." هل اعتقدت أن الأمر انتهى؟ هل نست أوزيك أنها قامت بغناء تنويع على اللحن نفسه، عندما صدر الكتاب الأصلي "اللاسامية الجديدة"، إذ قالت "العالم أجمع يريد موت اليهود"؟ وأن هذه العبارة

كانت عنوان مقالتها الشهيرة في مجلة إسكواير عام 1974، هل نسيت أن مقالتها تلك بدأت بالطريقة ذاتها، إذ أثارت ذكرى معسكرات الموت النازية؛ وأنها ذهبت في مقالتها إلى توبيخ العرب الذين يتبعون خطى هتلر، ومتأهبين لقتل جميع اليهود في العالم، بما في ذلك هي نفسها ("القاهرة ودمشق، اللتان تحملان الشعلة، هما في الطرف الآخر من العالم، ولكنهما تقصدانني أنا")؛ كيف لها إذًا أن تدين سائر العالم (حتى بعض اليهود) بسبب مشاركتهم في الجرم وصمتهم؟ أتكون قد نسيت أيضا خطابها الساخط الطنان، إذ تقول "اللاجئون الفلسطينيون، واضعو التكتيكات السياسية، مؤيدو التحرر الشعبي، إرهابيو الألعاب الأولومبية، إرهابيو الرحلات الجوية! مدمرو تسعة وأربعين حياة مسالمة في ربيع واحد ما بعد الحرب! مطلقو الرصاص على ثلاث عشرة أم وطفل في كريات شمونة! قتلة الـ...!" أيمكن أن تكون هذه المغنية القديمة التي تحصل على دور في كل إنتاج جديد حول اللاسامية الجديدة، قد نسيت أنها تقرأ من نص عتيق؟[18].

يقول روزنباوم في مقدمة الكتاب: إن "جوهر اللاسامية المناهضة للصهيونية" هو إنكار هذه الحقائق التي لا يمكن دحضها: "اليهود يريدون العيش بسلام، ولكن الحروب الثلاثة التي حاولت الدول العربية خلالها إلقاء اليهود بالبحر، وحملة الإرهاب التي شنها الفلسطينيون الذين يرفضون فكرة الدولة اليهودية، تركت الإسرائيليين أمام خيارين مأساويين: ما بين الدفاع عن الذات، أو تدمير الذات."[19] يفخر روزنباوم فخرا كبيرا بأنه استطاع أن يدخل في الحوار الدائر حول اللاسامية الجديدة، واحتمالات حدوث "هولوكوست ثانية". يقول روزنباوم: "كل الأمم الأوروبية كانت قد شاركت مشاركة عميقة في الإبادة الجماعية التي ارتكبها هتلر"، وكذلك "إلى حد كبير، كان الأوروبيون قد **تطوعوا**" (التأكيد لروزنباوم)، فوفقا لروزنباوم، لم يكن الألمان فقط، بل جميع الأوروبيين، قتلة متطوعون لهتلر، والآن فإن الأوروبيين "مستعدون للمشاركة في قتل اليهود من جديد". بل إنهم بدؤوا بالتخطيط للهولوكوست الثانية حال انتهاء الحرب العالمية الثانية، فإذ فرض الأوروبيون على اليهود العيش في دولة بعيدة، فقد تآمر الأوروبيون؛ كي "يخرجوا اليهود الناجين - وهم تذكار على العار الأوروبي - من القارة، وترك الممتلكات المسروقة من اليهود

في أثناء الحرب للأوروبيين" ولندع جانبا المفارقة بأن هذه المحاجة كانت تستخدم ضد الصهيونية، وليس من قبل مؤيديها، بالإشارة إلى الهدف المشترك بينها وبين اللاساميين الذين يريدون فصل اليهود عن أوروبا، وللنظر بدلا من ذلك للأطروحة المركزية، فقبل أن يخرج علينا روزنباوم، من كان يعتقد أن الدافع الرئيس وراء إقامة إسرائيل لم يكن توق اليهود إلى وطن، بل توق الأوروبيين لطردهم - وللاحتفاظ بممتلكاتهم المسروقة أيضا؟ ولا ينتهي الغدر عند هذا الحد، فلم يكن الصهاينة بل الأوروبيون من غير اليهود هم من سعوا إلى إقامة وطن لليهود في فلسطين، فقد وضع الأوروبيون إسرائيل عن قصد في "قطعة من الصحراء لا يمكن الدفاع عنها في بحر من الشعوب المعادية". وهناك المزيد أيضا، فلقد تعمد هؤلاء الأوروبيون جعل إسرائيل بالغة الصغر، بحيث لا تتسع لليهود والفلسطينيين معا، مما سيضطر اليهود إلى طرد الفلسطينيين، بناء عليه، فإن الفلسطينيين سوف يكرهون اليهود، وهكذا "سيقتل الساميون بعضهم بعضا، ويقع اللوم على اليهود". وإن لم يكن هذا كافيا، فقد شرع الأوروبيون الآن في حملة سرية لإبادة المجتمع اليهودي المتبقي في القارة، إذ يقومون "بالسماح للسكان العرب بين ظهرانيهم بحرق المعابد اليهودية، وضرب اليهود في الشوارع، نيابة عنهم" (التأكيد في الأصل) ولا يعرب روزنباوم عن تفاؤل ببقاء إسرائيل، وذلك بسبب ضبط النفس المفرط الذي تمارسه، وعلى الرغم من أنه "يشعر بالأسى للبلاء الذي أصاب الفلسطينيين"، إلا أنه يعتقد أنه لتجنب حدوث هولوكوست ثانية، فيجب ألا تنحصر المعاناة في الذين ينفذون التفجيرات الانتحارية، بل يجب أن يعاني أيضا "أفراد عائلاتهم" من "المصير ذاته الذي تعرض له الأشخاص الذين فجرهم الانتحاريون". والمأساة، للأسف، هي أن "الإسرائيليين يرفضون فعل ذلك" - أي، وبعكس نصيحة روزنباوم، إسرائيل لن تقتل الرجال والنساء والأطفال دون تمييز - "ولهذا السبب فمن المرجح أن تحدث هولوكوست ثانية"، ومع ذلك، فالأمل ليس مفقودا تماما، فعندما "يتم تفجير سلاح نووي في تل أبيب"، ستقوم إسرائيل "عاجلا، وليس آجلا"، بإطلاق "انتقام نووي" ضد "بغداد، أو دمشق، أو طهران، أو ثلاثتهم معا". وهذه المرة، فلتحل اللعنة، فسوف يقوم اليهود بتلقين غيرهم درسا لن ينسوه لزمن طويل: "إن التناسب غير المصرح به لشعار "لن

يحدث مرة أخرى أبدا" هو: "وإذا حدث مرة أخرى، فلن يصيبنا وحدنا"" (التأكيد في الأصل). وتكمن هنا مفارقة غريبة لم ينتبه لها روزنباوم، إذ إنه يزج بهذه الأوهام السخيفة في الكتاب الذي قام بتحريره للسخرية من العصابيين المؤمنين بنظريات المؤامرة، والتوق الدموي للانتقام الشائع في العالم العربي[20].

كان فيليب غيرنسبن من ضمن الذين قدموا إسهامات لمجموعة المقالات التي حررها روزنباوم، وهو خبير في معهد ماساشوستس التكنولوجي في مجال برامج الكمبيوتر وتطبيقات الإنترنت، ولم ينشر في السابق أي كتاب، أو مقال عن إسرائيل (كانت مقالته، وهي واحدة من أطول مقالتين في الكتاب، تتألف جميعها تقريبا من إحالات إلى مواقع إنترنت مختلفة)، وسعى إلى أن يبذ جميع المسهمين الآخرين في الكتاب من خلال المزاعم التي طرحها، وقدم بكل ثقة الأطروحات الآتية: إن تأسيس إسرائيل كان الركن الأساس من مؤامرة كونية لقتل اليهود، وقد قامت أوروبا منذ البداية بإقامة إسرائيل؛ "كي تكون معسكر احتجاز لليهود". ولكن "من الناحية التاريخية، فإن معظم معسكرات الاحتجاز لليهود تحولت في النهاية إلى معسكرات موت، وبكل تأكيد ليس هناك نقص في عدد الناس في العالم الذين يحاولون جلب هذا التغيير". وفي أوروبا، فإن أولئك النازيين الذين يحاولون التخفي يتضمنون في مقدمتهم الأكاديميين الذين يدعمون المقاطعة الثقافية لإسرائيل، والدليل على ذلك هو أنهم "صدى لما حدث في ألمانيا في ثلاثينيات القرن العشرين، حيث كان معدل انضمام مدرسي الجامعات للحزب النازي ضعف معدل انضمام عامة السكان"، وفي العالم العربي، فإن الواقع مخيف أكثر من ذلك، "فإذا افترضنا أن نسبة المسلمين الذين يصدقون ما يقوله قادتهم عن اليهود تساوي نسبة الألمان الذين صوتوا لهتلر عام 1932 (33 بالمئة)، فإن عدد المسلمين الذين يكرهون اليهود يساوي 400 مليون فردا". وبالنسبة لأمريكا... فإذا افترضنا أن السبب الوحيد لقيام الولايات المتحدة بدعم إسرائيل، وفقا لأقوال غرينسبن، هو خشيتها من تدفق المهاجرين اليهود، فإن هناك عددا كبيرا من الأمريكيين يريدون الموت لليهود، وهذا يتضح من الحقيقة المزدوجة بأن "حوالي نصف الأمريكيين يحملون بعض المعتقدات ذاتها عن اليهود التي رعاها الحزب النازي" وأن "هتلر تمكن من السيطرة على السلطة في ألمانيا

بحصوله على 33 بالمئة فقط من أصوات الناخبين عام 1932، و44 بالمئة من أصوات الناخبين عام 1933" وإن من أعراض العقلية المصابة البارنويا (الهذاء) أن كل حدث يتم تفسيره على أنه يرتبط بمؤامرة كبرى. ولكن هذه البارنويا (الهذاء) بلغت ذروة جديدة عندما أخذ أولئك الذين يسمون أنفسهم صهاينة يفسرون إقامة إسرائيل على أنها الركن الأساس في مؤامرة لاسامية كبرى، وبعقلية شبيهة بهذا النمط، نجد الكاتب الصحفي نات هينتوف يعلن أنه "إذا انطلق صوت من سماعة يعلن أنه "على جميع اليهود أن يتجمعوا في ميدان تايم سكوير(*)"، فلن يفاجئني ذلك أبدا"[21].

إن تبعات هذه الهستيريا المحسوبة حول اللاسامية الجديدة لا تنحصر في تحصين إسرائيل من أي انتقاد مشروع، فهدفها العام، مثل هدف "الحرب على الإرهاب"، هو تجنب النقد للاعتداء غير المسبوق في مستواه ضد القانون الدولي، وهنا يكمن الخطر الأكبر، فمن نواحي أساسية، دشنت الحرب العراقية نقطة تحول كبيرة: فالرفض المبدئي للمشاركة في هذه الحرب العدائية (وهذا بالتأكيد درس كبير يجب استقاؤه من حقبة هتلر) تمت مساواته، عن دون كل الأشياء، مع كراهية اليهود، ولهذا فإن الحركة العالمية المناهضة "للحرب الوقائية" المنافية للقانون التي شنتها الولايات المتحدة على العراق، والتي هللت لها إسرائيل، ومنظمات التيار السائد اليهودية، أصبحت متهمة "باللاسامية من النوع الذي كان يعتقد أنه انتهى منذ زمن طويل في الغرب"، حتى مشاهير الشعراء الأمريكيين الذين شجبوا الحرب والاحتلال الإسرائيلي تم انتقادهم لاقتراف "ما يصل إلى لاسامية من النوع الذي كان سائدا في عقد الثلاثينيات من القرن العشرين". وكذلك، ففي حين رفض الشعب الألماني بشجاعة الخضوع للتهديد من أجل دعم الاعتداء الإجرامي الذي قامت به واشنطن، عقد الفرع الألماني من مجموعة الضغط الإسرائيلية [اللوبي] بصفة صريحة، بمقارنة صدام حسين مع أدولف هتلر، واستغل مناسبة يوم ذكرى الهولوكوست لشجب المعارضة الألمانية للحرب على العراق، ثم ناشد لاحقا بتقديم الدعم لهذه "الحرب الضرورية"[22].

(*) ميدان شهير في وسط جزيرة منهاتن في مدينة نيويورك. [المترجم]

وبمثل ذلك، جرى استخدام مزاعم اللاسامية الجديدة لإضعاف المبادئ الأساسية لحقوق الإنسان، إذ يعلن آلان ديرشويتس: "إن القضية الأخلاقية العظمى التي تواجه العالم في فجر هذه الألفية، هي ما إذا كان سعي إسرائيل لحماية نفسها ضد الإرهاب سيؤدي إلى زيادة هائلة في اللاسامية في العالم". وبالطبع، فيما عدا استثناءات هامشية، لا أحد يجادل في حق إسرائيل في الدفاع عن نفسها ضد الإرهاب؛ إذ إن النقد لإسرائيل ناشئ عن انتهاكاتها الجسيمة لحقوق الإنسان باسم مكافحة الإرهاب، ولكن عبارة "اللاسامية" تستخدم من قبل ديرشويتس هنا ليس فقط لتجنب النقد الناشئ عن هذه الانتهاكات الجسيمة، بل أيضا **لإضفاء الشرعية** عليها، إذ إنه، وباسم الدفاع عن إسرائيل و "سيادة القانون" - وهذا من عجائب الأمور -، أخذ يناصر إجراء تراجع هائل في التقدم الذي حصل خلال القرن الماضي في مجال قانون حقوق الإنسان والقانون الإنساني.

ويؤكد ديرشويتس أن "قانون حقوق الإنسان واللغو المرتبط به أصبح سلاحا قويا يتم توجيهه بصفة انتقائية ضد إسرائيل"، ويواصل ديرشويتس الإعلان بأن "الوقت قد حان؛ كي تصر الولايات المتحدة على تغيير القانون الدولي للحرب"، وأن تقوم "بقيادة الصراع من أجل إعادة النظر في القوانين والمواثيق الدولية "العتيقة"، وخصوصا، "اتفاقية جينيف"، بل إنه زعم في تصريح يثير الصدمة في مؤتمر عقد في إسرائيل، أن إسرائيل غير ملزمة أبدا بالقانون الدولي: "الإسرائيليون ملتزمون باتباع سيادة القانون الموجودة في الديمقراطية التي تدعي إسرائيل، بالطريقة نفسها التي ألتزم بها أنا باتباع سيادة القانون في الديمقراطية التي تدعي الولايات المتحدة... أن التزامكم الأخلاقي بالخضوع لنصوص قواعد القانون الدولي هو التزام طوعي؛ وهو أمر يعتمد على الاختيار، وعلى المسائل التكتيكية، وليس التزاما أخلاقيا، أو نظرية ديمقراطية" وعلاوة على ذلك، يقدم ديرشويتس دعمه صراحة لعمليات التصفية الجسدية لأسباب سياسية ("إن فضيلة القتل المستهدف... هو بالتحديد يستهدف أشخاصا بعينهم، ويتجنب الأضرار الجانبية، أو العقوبات الجماعية"؛ "إنه يعزز الحريات المدنية، ولكن ليس حريات الإسرائيليين، بل حريات الفلسطينيين")؛ العقوبات الجماعية مثل "التدمير التلقائي" لقرية فلسطينية بعد كل

هجوم إرهابي ("تدمير البيوت هو أمر أخلاقي تماما... وهو ضمن أكثر الاستجابات التزاما بالإخلاق")؛ والتعذيب مثل "غرس إبرة تحت الظفر" ("أريد الحد الأقصى من الألم... والأكثر تسبيبا للعذاب، وأشد أنواع الألم الفوري")، والتطهير العرقي ("عادة ما تتطلب الحلول السياسية نقلا للناس، وهذا النقل ليس طوعيا في كل الحالات... هذه قضية غير مهمة جدا، وتشبه في جوانب عديدة عملية تجديد هائلة للمناطق الحضرية"). وبالتأكيد، حينما ينتهك الفلسطينيون القانون الدولي، فإن ديرشويتس يصبح أكثر حرصا عليه، إذ يرتئي أن قيام الفلسطينيين باستهداف المدنيين الإسرائيليين "غير مقبول أبدا... إذ ينتهك اتفاقيات جينيف، وينتهك القانون الدولي للحرب، وينتهك جميع المبادئ الأخلاقية"، على العكس من غرس إبره تحت ظفر شخص ما[23].

إن تسميم الخطاب العام حول حقوق الإنسان من قبل المبررين لإسرائيل لا ينحصر في الولايات المتحدة، إذ إن أشنع الأمثلة المخجلة حدثت في ألمانيا، ففي أثناء مقابلة مع التلفزيون الألماني، ذكر مايكل ولفسون، وهو يهودي ألماني من أشد "مناصري" إسرائيل، وبروفيسور في جامعة القوات المسلحة الألمانية، أنه "كوسيلة لمكافحة الإرهاب، فأنا أعتبر التعذيب، أو التهديد باستخدام التعذيب أمرا مشروعا، نعم أنا أعتقد ذلك". وبعد ذلك استشهد بأقوال ديرشويتس، كأحد مصادر إلهامه، إذ أوردت وسائل الإعلام الألمانية بصفة واسعة دعمه للتعذيب. وعندما وجه له وزير الدفاع الألماني توبيخا (كما فعل أخرون كثر)، زعم ولفسون ومعه الناطق الرسمي الرئيس باسم اليهود الألمان أنه كان ضحية للاسامية، وفي بيان صدر على صفحة كاملة في الصحيفة الأكثر تأثيرا في ألمانيا بعنوان "أنا أتهم!"(*)، واستثار ولفسون

(*) استعار ولفسون عنوان رسالة شهيرة وجهها الروائي الفرنسي إميل زولا إلى الرئيس الفرنسي عام 1898 دفاعا عن ضابط المدفعية اليهودي الفرنسي ألفريد دريفوس، وكانت السلطات الفرنسية قد حاكمت دريفوس بتهمة تسريب معلومات للألمان عام 1894 وحكمت عليه بالسجن مدى الحياة، وعرض الرئيس الفرنسي عام 1899 العفو عن دريفوس، ولكنه رفض العفو، وظل في السجن حتى عام 1906 عندما برأته المحكمة من كل التهم، وعاد للخدمة في الجيش الفرنسي، وقد أصبحت هذه القضية رمزا للممارسات اللاسامية، ومعاناة اليهود. [المترجم].

ذكرى الهولوكوست والاضطهاد الذي تخيل أنه يتعرض له شخصيا ("لقد قام أعضاء من الحكومة الاتحادية بإلقاء أحد مواطنيهم، وهو يهودي، إلى الذئاب")، وأعلن أن ثيودور هيرتزل كان محقا فيما ذهب إليه _لا يمكن لليهود أن يكونوا آمنين إلا في دولة تابعة لهم _، وكذلك، فإنه حين يتمثل الدرس الأساس من الهولوكوست للشعب الألماني، فإنهم "لن يقوموا بارتكاب مظالم كهذه أبدا مرة أخرى"، فإن الدرس الرئيس لليهود أنهم "لن يكونوا ضحايا مرة أخرى"، وهذا بالنسبة لليهود يدل على أن أي وسيلة يستخدمونها هي وسيلة مشروعة باسم الدفاع عن النفس، فلنترك جانبا أن المقال الأصيل الذي كتبه إميل زولا بعنوان "أنا أتهم...!" كان دفاعا عن يهودي بريء من الاتهامات الموجهة إليه، إذ من الصعب ألا نتلمس _أو حتى أن نشعر بالتقزز من_ المفارقات الكامنة في هذه الحادثة: بروفيسور يهودي في كلية حرب ألمانية يدافع عن استخدام التعذيب ويتعرض للتوبيخ علنا، وبعد ذلك يلف البروفيسور اليهودي نفسه بعباءة الهولوكوست ويتهم الألمان الذين شجبوا تأييده للتعذيب بأنهم لاساميون، ثم يفسر الدروس المستقاة من الهولوكوست ويعلن أنه في حين تحظر الهولوكوست على الألمان (وأي شعب آخر) ارتكاب مظالم كتلك، فإن ذلك يستتبع أنه بإمكان اليهود ارتكاب المظالم كما يريدون[24].

ليست الأمور أفضل كثيرا في الأماكن الأخرى، ففي كندا، أقر رئيس معهد بناي بيرث للعلاقات الدولية أن إسرائيل تلجأ إلى تكتيكات إرهابية ضد الفلسطينيين، وأكد على أن هذا الأمر "مقبول": "الإرهاب هو خيار قد تستخدمه الدول؛ كي تمنع حالات الموت... يمكنك تصنيف الأعمال التي تجري في غزة والضفة الغربية، على أنها أعمال إرهابية ترعاها الدولة، ولكن عندما يتم القيام بتلك الأعمال من أجل منع حالات الموت [بين الإسرائيليين]، فهل سنقول: إنها أعمال خاطئة؟"[25]. وفي المدة ذاتها، في فرنسا، صدر تقرير في تشرين الأول/ أكتوبر 2004 بتكليف من وزارة الداخلية، ونال اهتماما إعلاميا واسعا، وقد ابتدع هذا التقرير تصنيفا جديدا غريبا: "اللاسامية بالوكالة". ويعرف التقرير اللاساميين بالوكالة أنهم الذين لم يرتكبوا بأنفسهم عملا لاساميا، أو حرضوا آخرين، أو تلاعبوا بهم؛ كي يرتكبوا أعمالا لاسامية، ولكن أولئك الذين تقدم "آرائهم

وكلماتهم، أو أحيانا صمتهم دعما للعنف اللاسامي"، أما المرتكبون الرئيسون لهذه اللاسامية "الصامتة" بحسب زعم التقرير فهم " المناهضون المتطرفون للصهيونية" الذين يستنكرون "سياسة شارون" في حين يفضلون "الأصوات اليهودية المعارضة" والذين يعتقدون أن اللاجئين الفلسطينيين يستحقون "حق العودة" إلى بيوتهم، ويشكل هذا الأمر عودة مباشرة إلى أحلك أيام الستالينية، عندما كان الذين ينتقدون النظام السوفييتي، وبمجرد حدوث هذا الأمر بحد ذاته، يوصفون بأنهم مؤيدون "موضوعيون" للفاشية، وكان يتم التعامل معهم على هذا الأساس. بل، وفي فقرة مرعبة حقا من التقرير، فإنه يوصي بتجريم أي "اتهام" "بالعنصرية" أو تطبيق "نظام التمييز العنصري" ضد إسرائيل، وكذلك "المقارنات" من تلك الشاكلة: "في الوضع الذي نجد أنفسنا فيه حاليا، فإن لهذه الاتهامات تبعات كبيرة يمكن لها، فيما إذا انتشرت، أن تعرض للخطر حياة مواطنينا اليهود، ومن المشروع أن نتحقق من خلال القانون أن هذه الاتهامات لا تلقى جزافا". إلى جانب الإجراءات العقابية، يوصي التقرير بتوفير المزيد من التعليم حول الهولوكوست، وخصوصا، التأكيد على الصفة "الاستثنائية والشمولية والفريدة" للهولوكوست، فمرة تكون هذه الشمولية والتفرد للاهوت الاستبدادي، ومرة أخرى فهي شمولية وتفرد الماركسية اللينينية؛ والآن فهي شمولية وتفرد الهولوكوست، أما الشيء الوحيد الثابت، فهو هذه العقلية الاستبدادية، وما يصاحبها من وصم المعارضة كمرض يجب على الدولة اجتثاثه[26].

ولمحاربة اللاسامية الجديدة، تعلن الكاتبة فيليس تشيسلر أنه "يتوجب علينا محاربة الكذبات الكبرى" و "تثقيف" الـ "حشد المتزايد من الطلاب الساذجين الذين تم تضليلهم" وإن معظم كِتَاب "اللاسامية الجديدة" مكرس لدحض "الكذبات الكبرى". فعلى سبيل المثال، تدعي تشيسلر أنه يحق لليهود المطالبة "بحقهم في أرض إسرائيل"؛ لأنهم "ظلوا يصلون إلى القدس، وإسرائيل، ومن أجلهما ثلاث مرات يوميا" بينما هم في المنفى، فهل هذا يعني أنه إذا كان الأمريكيون الأصليون [الهنود الحمر] المنفيون منذ مئتي عام فقط، وليس منذ ألفي عام "يصلون من أجل" منزل فيليس تشيسلر، فإنها كانت ستتنازل لهم عنه؟ إضافة إلى ذلك، "الله وعد هذه الأرض إلى إبراهيم، وإلى كل أنبياء إسرائيل الآخرين". ومن أجل قطع أي شك، فهي

تضيف ملاحظة بالهامش؛ كي تثبت هذا الأمر، ووفقا لتشيسلر، فإن "العديد من الفلسطينيين (هم أنفسهم، وآباؤهم، وأجدادهم أيضا)، كانوا في الحقيقة قد ولدوا في الأردن، ومصر، ولبنان، وسوريا"، ويجب أن نصرف النظر عن أن جميع الباحثين الجديين ينبذون هذه القصة الصهيونية الخرافية، وتورد تشيسلر أن حركة حماس كانت تشن هجمات إرهابية، حتى قبل احتلال إسرائيل للضفة الغربية وغزة، ويجب أن نصرف النظر عن أن حماس لم تكن موجودة، حتى نهايات عقد الثمانينيات من القرن العشرين، ووفقا لتشيسلر أيضا، فإن الجيش الإسرائيلي هو "أحد أكثر الجيوش تحضرا... في العالم". ويجب أن نصرف النظر هنا عن أن الرئيس السابق للشرطة السرية الإسرائيلية، أفرهام شالوم، أخذ يندب علنا فيما يخص السلوك الإسرائلي في المناطق المحتلة، بالقول "لقد كان سلوكنا مخزيا، نعم ليس هناك كلمة أخرى تصف ذلك، كان مخزيا".

وتصرح تشيسلر بأن الجنود الإسرائيليين "لم يستهدفوا النساء والأطفال الفلسطينيين"، وأن "معظم الفلسطينيين الذين قتلوا خلال السنوات الثلاث الأخيرة كانوا جنودا (ذكورا) مسلحين ومهاجمين انتحاريين (ذكورا) مسلحين"، ويجب أن نصرف النظر هنا عن تقارير منظمات حقوق الإنسان التي نالت الاحترام، والتي وثقت بصفة واسعة أن الجنود الإسرائيليين يقومون بانتظام، وبحصانة من العقاب باللجوء إلى إطلاق النيران "المفرط"، "غير المتناسب"، "دون تمييز"، "باستهتار"، وكذلك "باستهداف متعمد" ضد الفلسطينيين الذين لا يشكلون أي خطر عليهم، "مما أدى إلى العديد من الإصابات"، و"نسبة كبيرة منهم" من الأطفال، وأن "الغالبية العظمى" من الفلسطينيين الذين في أثناء الانتفاضة الثانية "كانوا مدنيين غير مسلحين، أو من عابري السبيل" وتذهب تشيسلر إلى الزعم أنه في أثناء عملية الدرع الواقي في ربيع عام 2002، والتي وصلت ذروتها في حصار مخيم اللاجئين في جنين، لم يقم الجنود الإسرائيليون باستهداف سيارات الإسعاف، أو العمال الطبيين، كما لم يقوموا بسلب ممتلكات الفلسطينيين؛ بل إن الإرهابيين الفلسطينيين (وليس الإسرائيليين) هم من استخدم المدنيين الفلسطينيين كدروع بشرية؛ وأنه لم تحدث أن صعدت دبابة إسرائيلية عن قصد فوق فلسطيني قعيد يجلس في كرسي

متحرك، وعلينا أن نصرف النظر هنا، عن أن منظمات حقوق الإنسان أجمعت على عكس ما ذهبت إليه تشيسلر في جميع المزاعم التي أطلقتها، وتصر تشيسلر على أن إسرائيل ليست "دولة التمييز العنصري". وعلينا أن نصرف النظر هنا، ليس فقط عن أن المشابهة مع نظام التمييز العنصري شائعة في الخطاب السياسي الإسرائيلي، ولكن أيضا أن تشيسلر ذاتها تستشهد بـ "زميل ممتاز من الطراز الأول" من إسرائيل يصرح "أننا نصبح مثل جنوب إفريقيا".

ووفقا لتشيسلر، فإن "الأمر الجديد في اللاسامية الجديدة، هو أنها أصبحت، وللمرة الأولى ترتكب باسم مناهضة العنصرية، ومناهضة الإمبرالية، ومناهضة الاستعمار"، وعلينا أن نصرف النظر هنا عن أنها - وفي الصفحة ذاتها - تنتقد قرار الأمم المتحدة الذي صدر قبل ثلاثة عقود، ويساوي بين الصهيونية و"العنصرية"، "والأيدولوجية الإمبريالية"، و"التمييز العنصري". وتهاجم نعوم تشومسكي، استنادا إلى أن الاستشهادات التي يقتبسها من المصادر الإسرائيلية "لا تبدو لي صحيحة، أو أنها في سياقها الدقيق"، أقفلت القضية[27]. وأخيرا، تنهي تشيسلر أي شكوك باقية حول مسألة اللاجئين العرب من خلال التذكير بأن "هناك عددا أكبر من اليهود العرب هربوا من الأراضي العربية، مثل... الهند"؛ كما تنهي أي شكوك باقية حول دعمها لحقوق العرب، من خلال ثنائها على "شجاعة" "المثقفين والفنانين والمعارضين السياسيين من العرب والمسلمين" مثل "أونغ سان سوو كيا"، وهو بالمناسبة بوذي حائز على جائزة نوبل للسلام، وهو من بورما البوذية، وقبل أن تشرع في الجهود المذهلة لإعداد هذا الكتاب - بحسب ما يرد في التنويهات في كتابها، إذ تقول: إن أعضاء جسدها تألمت كآلام المسيح جراء العمل على الكتاب - ألم يكن حريا بها أن تسترشد أولا بدليل البلهاء في شؤون الشرق الأوسط؟[28].

هناك أطروحات أخرى حول اللاسامية الجديدة تزعم بوجود "الكذبات الكبرى" ذاتها عن إسرائيل، ففي موضوع ظهر على غلاف مجلة "نيويورك"، أدان كريغ هورويتز اللغة "المنحرفة بصفة مشوهة" مثل استخدام كلمة التمييز العنصري لوصف السياسة الإسرائيلية، إضافة إلى "السلوك المهين الفاضح المعادي لإسرائيل الذي

تسلكه الأمم المتحدة". ويشير على سبيل المثال إلى قيام الأمم المتحدة مؤخرا بشجب إسرائيل فقط "لكونها تقوم ببناء سياج لمنع المهاجمين الانتحاريين" على الرغم من أن السياج قد يضم في النهاية ما قد يصل إلى نصف الضفة الغربية، وقد كتب صاموئيل ج. فريدمان، بروفيسور الصحافة في جامعة كولمبيا، مقالا في مجلة (Salon.com) متفكرا في مقتل الصحفي دانييل بيرل، وأشار إلى "المذهبية الجامدة (الدوغما)" لدى آسري بيرل بأن الولايات المتحدة تقدم لإسرائيل "دعما غير مشروط"- من أين لهم بهذه الفكرة الغريبة يا ترى؟!- ويشير إلى مشهد الأطفال الفلسطينيين الذين يقتلون على يد الإسرائيليين بأنهم ضحايا "مفترضون". ويتفجع أومير بارتوف، مؤرخ الهولوكوست، في مجلة "ذا نيو ريبيلك" بسبب "اللغو المسموم" الذي "تم من خلاله وصف العملية الإسرائيلية في جنين" بأنها "جريمة حرب"، على الرغم من أن هذا الوصف هو بالضبط ما استخدمته منظمة العفو الدولية، ومنظمة هيومان رايتس ووتش في وصف العملية؛ وبسبب "اللغو" الذي يزعم بأن "الصهيونية هي تطهير عرقي" - فالصهيونية كانت كذلك بالضبط عام 1948، وفقا للعديد من مشاهير المؤرخين الإسرائيليين، وكذلك توم غروس، وهو ممن يحتفى بهم، بوصفه مراقبا بريطانيا للاسامية في وسائل الإعلام، فقد شجب بشدة "الحكايات" عن جرائم الحرب الإسرائيلية في جنين، ويزعم أنه قرأ تقارير حقوق الإنسان عن جنين، وأنه يستند إليها في نقده لوسائل الإعلام، وبعد ذلك يصرح بأن التدمير الإسرائيلي كان محدودا في "منطقة واحدة صغيرة في المخيم"، على الرغم من أن منظمة العفو الدولية ومنظمة هيومان رايتس ووتش أوردتا أن أربعة آلاف شخص، أو ما يزيد عن ربع سكان المخيم، أصبحوا مشردين بسبب التدمير الإسرائيلي، وقد حدث معظم التدمير بعد أن توقف القتال.

أما ديفيد زانغين، وهو ضابط في القطاع الطبي من جيش الدفاع الإسرائيلي، وخدم في أثناء الحملة على جنين، فأخذ يكيل الثناء على "القوات الأخلاقية الطيبة التي عملت في جنين" و"أخلاقنا القتالية"، وأكد خلال شهادة اعتبرها روزنباوم "رائعة جدا"، أنه "لم يتم منع العناية الطبية عن أي شخص في أي مرحلة من المراحل"- رغم أن كلا من منظمة العفو الدولية ومنظمة هيومان رايتس ووتش وجدتا دلائل دامغة على أن إسرائيل منعت المساعدات الطبية والإنسانية عن المخيم لمدة

عشرة أيام، وكان رئيس تحرير مجلة "نيو ريبلك"، مارتين بيرتز قد أشاد سابقا بكتاب "منذ زمان سحيق" للمؤلفة جون بيترز، ووصفه بأنه عمل أكاديمي يخلو من أي عيب، ومن شأنه أن "يغير طريقة تفكير جيلنا... وتاريخ المستقبل". وقد عبر بيرتز عن سخطه الشديد ضد "الأكاذيب الهستيرية المعادية لإسرائيل"، مثل أن الإسرائيليين "قاموا بتدمير بيوت في جنين؛ رغبة في التدمير فقط"، غير أن سائق جرافة إسرائيلي في جنين هو الذي أخذ يتبجح لاحقا خلال مقابلة مع صحيفة إسرائيلية، وقال: "لقد أردت تدمير كل شيء. لقد رجوت الضباط... كي يتيحوا لي تدميره كاملا: من الأعلى إلى الأسفل... ولمدة ثلاثة أيام، كنت فقط أدمر وأدمر.... لقد شعرت بمتعة في كل بيت تهاوى.... وإذا كنت آسفا على أي شيء، فذلك لأنني لم أقم بتدمير المخيم بأكمله.... لقد شعرت بكثير من الاكتفاء، لقد استمتعت بالأمر فعلا". (وبعد نشر هذه المقابلة، منح جيش الدفاع الإسرائيلي سائق الجرافة هذا شهادة تقدير على عمله الرائع). واستنكر شوينفيلد "اللاسامية" التي عبر عنها أحد قادة حزب الله بسبب تصويره للحرب الإسرائيلية العربية عام 1948، الذي ورد فيه أن الإسرائيليين ارتكبوا "مذابح،... ودمروا بيوتا، وأزالوا قرى بأكملها، وأقاموا دولة لهم على أرض مسروقة من خلال عمليات ذبح وإرهاب وعنف وقسوة"- على الرغم من أن هذا الوصف هو بالضبط ما وثقه مؤرخون إسرائيليون، مثل بيني موريس.

وتستنكر سنثيا أوزيك "الكذبة الكبرى" الهتلرية بأن إسرائيل "تنتهك القانون الدولي"، وكذلك "المفهوم الهذياني" بأن إسرائيل تستعمر المناطق المحتلة وتقمع الفلسطينيين، ومن الصعب ألا يشعر المرء بالإعجاب من هذا الانضباط الفكري الذي يمكنه أن يقصي الواقع إقصاء كاملا. أما مورتيمر زوكرمان الذي يملك العديد من وسائل الإعلام، فقد أراد أن يوضح السجل التاريخي بخصوص إسرائيل في مقابلة صحفية مع مجلة "يو. أس. نيوز آند ورلد ريبورت"، وبدأ بشجب حقيقة أن إسرائيل تتهم بأنها ارتكبت "تطهيرا عرقيا، وأنها تقيم نظام التمييز العنصري"، ثم أخذ يعيد الخرافات الصهيونية المألوفة بالقول: إنه "عندما وصل اليهود، كان يوجد عدد قليل جدا من السكان في فلسطين، قليلة الزرع، وأرض برية صحراوية مهملة ومستنقعات ترتع فيها الملاريا"؛ وأنه لا يوجد "أي شيء يدل على أن فرار

الفلسطينيين لم يكن طوعيا" عام 1948، وأنه "في الواقع، أولئك الذين فروا، تم حثهم على الفرار من قبل العرب الآخرين"؛ وأن "التقارير الإخبارية، وحتى شهادات الفلسطينيين وكتاباتهم... تؤكد حقيقة أن جماعات، مثل: فتح وحماس والجهاد الاسلامي قامت باستخدام النساء والأطفال كدروع في أثناء القتال" في جنين، وأن "الإسرائيليين مارسوا قدرا كبيرا من ضبط النفس في أثناء المعركة"؛ وما إلى ذلك. حتى إنه يستحضر زعما مضحكا بأن "اتفاقية جينيف الرابعة، تمت صياغتها أصلا استجابة للفظائع التي ارتكبها النظام النازي" وتم تصميمها "لحماية أشخاص، مثل: الدبلوماسيين والزوار الذين يخضعون لاحتلال عسكري"، وليس لحماية السكان المدنيين، فلندع جانبا أن العنوان الرسمي لهذه الاتفاقية هو "اتفاقية جينيف الرابعة بشأن حماية الأشخاص المدنيين في وقت الحرب"، وأن المادة الرابعة من الاتفاقية توضح أن شاغلها الرئيس هو السكان الأصيلين، ودعونا فقط ننظر بالمنطق الذي يطرحه زوكرمان: إنه، على ضوء الفظائع النازية الهائلة التي ارتكبت ضد السكان المدنيين في الحرب العالمية الثانية، اجتمع المشرعون في جينيف عام 1949 لصياغة ميثاق لحماية أشخاص، مثل: "الدبلوماسيين والضيوف"[29].

إذا كانت مكافحة اللاسامية الجديدة تعني كشف "الكذبات الكبرى" عن إسرائيل، فإن هذا يتطلب أيضا كشف وسائل إعلام التيار العام، التي قيل: إنها المزود الرئيس لهذه الأكاذيب، ويكرر تقرير "تجليات اللاسامية في الاتحاد الأوروبي" الصادر عن مركز المراقبة الأوروبي المعني بالعنصرية وكراهية الأجانب، الزعم بأن اللاسامية هي تيار مرافق للتغطية الإخبارية الأوروبية للنزاع الإسرائيلي - الفلسطيني، ويشير التقرير على سبيل المثال إلى "الصحف الليبرالية اليسارية" مثل الصحيفتين البريطانيتين: "غارديان" و"إندبندنت"، اللتين "تشيع فيهما رائحة معادية "حتى يمكنك شم اللاسامية" وتتناول الدراسة مسائل محددة، وتشير إلى وصف "الفلسطينيين بأنهم شعب يزعم أنه يتعرض للقمع على يد ما يسمى الدولة الإسرائيلية الإمبريالية" وأنه ينم عن "التحزب" اللاسامي النمطي لـ "وسائل الإعلام ذات النزعة اليسارية". ولندع جانبا الإدخال المتغطرس لعبارة "يزعم"، كم من المرات تم وصف إسرائيل على أنها "إمبريالية" في وسائل الإعلام الأوروبية اللبرالية؟ أما

التحيز اللاسامي في "الصحف الجيدة" في ألمانيا، فيكشف عنه حقيقة أن "التقارير الإخبارية تركز بدرجة كبيرة على أحداث العنف والصراعات"، ولإظهار عملي للتحيز اللاسامي في التقارير الإخبارية الأوروبية، تركز الدراسة على معلومات مستقاة من استطلاعات الرأي العام التي تظهر أن "الأوروبيين الذين يتابعون التغطية الصحفية لأحداث الشرق الأوسط بأكبر قدر ممكن، كانوا أكثر ميلا للتعاطف مع موقف الفلسطينيين". أما أن يكونوا أكثر تعاطفا، بسبب أنهم يعرفون الوضع بصفة أفضل، فهو استنتاج شديد السخف، ولا ينبغي أن تتوقف عنده الدراسة، واستنتاج لاسامي طبعا، حتى إن لم يكن محتوى التغطية الصحفية ينم عن لاسامية بحد ذاته، "فإن التركيز الشديد والمتواصل على الأحداث... له تأثير واضح على مناخ الرأي العام". وهكذا، إذا كان واقع صراع إسرائيل - فلسطين يثير العداء نحو إسرائيل، فإن تسليط ضوء ساطع على هذا الواقع هو من ناحية "موضوعية" أمر ينم عن لاسامية، حتى إن كانت التغطية الإخبارية دقيقة[30]. وكما أشرنا سابقا، فإن مفهوم وجود تحيز للفلسطينيين في وسائل الإعلام الغربية، هو وهم محض.

من الشواغل المتصلة بهذا الأمر لدى أولئك الذين يعملون على مكافحة اللاسامية الجديدة هو مواقع الإنترنت - وهو قلق يمكن أن نتفهمة، إذ إن الإنترنت لا يخضع للسيطرة (حتى الآن) من قبل الذين يمكن اعتباراهم يتحلون بالمسؤولية، والتغطية المتوازنة للشرق الأوسط، من أمثال: إيزي آسبير، وسلفيو برلسكوني، وكونراد بلاك، وروبرت مردوك، ومرتيمر زوكرمان(*)، فقد تعلم معدو تقرير "تجليات اللاسامية في الاتحاد الأوروبي" الدروس المستقاة من الأنظمة الاستبدادية، وأهمية التعبير الحر، وهم يوصون بأنه "يتوجب على المنظمات الحكومية والخاصة أن تمارس ضغطاً متواصلاً على كبار مزودي خدمة الإنترنت لإزالة مواقع الإنترنت العنصرية واللاسامية"؛ وأنه "من الضروري مد السلطة القضائية للمحاكم الأوروبية؛ كي تشمل مواد مفصلة حول مسؤولية مزودي خدمة الإنترنت"؛ وكذلك أنه "مطلوب مراقبة شديدة من قبل السلطات الحكومية"؛ وكذلك وجوب نشر "قضايا الملاحقات القضائية والمعلومات من السلطات الأمنية في الدول". وإذا حكمنا بالتعريف الذي

(*) الأشخاص الواردة أسماؤهم هنا هم من كبار مالكي وسائل الإعلام في العالم، ويتميزون بنزعة يمينية. [المترجم]

يضعه معدو التقرير، وإذا تمت مقاضاة كل مستخدم للإنترنت متهم "باللاسامية"، فعليهم أن يطالبوا أيضا بإقامة مخيمات اعتقال جماعية[31].

نعود إلى شواطئ أمريكا الآن، لنجد فوكسمان أيضا يحذر من "الجزء الحساس المظلم" المتمثل في الإنترنت، "حيث فيروس اللاسامية جاهز للانتشار". وعلى الرغم من أنه يصرح بمعارضته للرقابة الحكومية، يجدر بالمرء أن ينظر بشك كبير إلى تأكيده "لقد كنت دائما أؤكد أن أفضل علاج لتعابير الكراهية، هو مزيد من حرية التعبير"، وفي الصفحة ذاتها يتبجح بأن "رابطة مكافحة التشهير عملت بتعاون كبير مع عدة شركات كبرى للإنترنت لتأسيس وفرض خطوط إرشادية واضحة لتنظيم ما هو مقبول، وما هو غير مقبول على مواقعهم". ويتفجع على حقيقة أن "بعض مزودي خدمة الإنترنت كانوا أقل استعدادا لتأسيس سياسات حازمة ضد تعابير الكراهية". ويشير إلى أحد الانتهاكات الفاضحة الذي يتمثل في "سياسة الاستخدام المقبول" لدى شركة إيرثلنك، والتي "تدعم التدفق الحر للمعلومات والأفكار على الإنترنت" وتسمح بتوزيع "كتاب هتلر (حياتي) وما يزيد عن عشرة خطب لهتلر، وليس هذا الأمر منافيا للقانون، ولكن الرسالة تنطوي على كراهية بصفة واضحة".

وبعيدا عن حقيقة أن كتاب هتلر (حياتي) وخطبه هي مصادر تاريخية بصفة أساسية، ومن الواضح أنه ينبغي دراستها إذا أردنا أن نتعلم من الماضي، إلا أنه يجدر بنا أن نبقي في الأذهان تعريف فوكسمان لتعبيرات الكراهية. فعلى سبيل المثال، سعى هذا المناصر العنيد "لمزيد من حرية التعبير"، دون أن يحالفه النجاح، إلى منع نشر دراسة كان أحد مؤلفيها كاتب هذه السطور، انتقد فيها كتاب دانيال غولدهاغن "قتلة هتلر المتطوعون". على الرغم من أن الدراسة حازت على تأييد ما يزيد عن عشرة من مشاهير مؤرخي الهولوكوست النازية (بما فيهم راؤول هيلبرغ، وكريستوفر براوننغ، وإيان كيرشو)، إلا أن فوكسمان احتج على نشر الدراسة على أساس أن "الموقف المعادي للصهيونية [لفنكلستين] ... يتجاوز ما يسمح به الذوق العام". وحاليا، قامت رابطة مكافحة التشهير "بتطوير برامج كمبيوتر... لمنع الوصول إلى مواقع إنترنت تعتقد الرابطة في أنها تنشر الكراهية".

ويسرد البروفيسور سايمون شاما من جامعة كولومبيا وقائع مخيفة عن الإنترنت المليئة بمواقع الإنترنت النازية، ثم يشير لاحقا إلى أنه، وعلى مستوى العالم، "التقديرات بشأن عدد الزائرين المنتظمين لهذا النوع من المواقع... قد يصل إلى ما يزيد عن 50.000 أو 100.000 على الأكثر"، أي بسعة ملعب كرة قدم. ثم يقارن بين محتوى مواقع الإنترنت السفيهة تلك مع منشورات رابطة مكافحة التشهير "التاريخية الناقدة الزاخرة بالمعلومات". وهذا الحكم على الإتقان الأكاديمي لمنشورات رابطة مكافحة التشهير يتماثل مع التقريظ الذي أسبغه شاما في السابق على كتاب غولدهاغن "قتلة هتلر المتطوعون" بوصفه "كتابا رائعا... وراسخا، وثمرة براعة أكاديمية فائقة ونزاهة مطلقة"، وسوف "يغير بصفة دائمة الحوار حول الهولوكوست". أما عميد باحثي الهولوكوست، راؤول هيلبرغ، فقد أعلن فورا أن كتاب غولدهاغن "عديم القيمة". وليس من المبكر أن نحكم من كان منهما على حق، فقد تم إهمال كتاب غولدهاغن إهمالا كاملا في الحوار الأكاديمي الحالي، وليس ذلك إلا للاستهزاء به، إذ لم يدم هذا الكتاب على أرفف المكتبات، إلا بقدر ما تدوم دمية سخيفة(32).

من الوسائل الأخرى المهمة في مكافحة اللاسامية الجديدة، وفقا لتقرير "تجليات اللاسامية"، هي "نشر تعليم تاريخ الهولوكوست، وتذكرها وإجراء الأبحاث بشأنها" و "تطبيق دروس الماضي في القضايا المعاصرة حول التحيز والعنصرية واتخاذ القرارات الأخلاقية"، ولكن هناك توضيح جوهري: لا يمكن للمرء تعلم أي دروس من الهولوكوست النازية إذا كانت تنطبق على إسرائيل، لأن "الإشارة إلى، أو المقارنة بين التصرفات الإسرائيلية وسلوك النظام النازي يجب أن ينظر إليها، بوصفها أعمالا لاسامية"، فهل يعني هذا التوضيح أن اليهود الإسرائيليين الذين عقدوا "إشارات ومقارنات" مع النظام النازي يجب أن ينظر إليهم على أنهم لاساميون؟ وتتعرض السويد للتقريع؛ لأن "السياسات الإسرائيلية تمت مقارنتها مع السياسات النازية في بضع مناسبات"، في حين أنه في ألمانيا "واصل بعض كبار ممثلي المجتمع اليهودي التعبير عن موقفهم" بأن "عقد الإشارات، أو المقارنات مع سلوك النظام النازي سيعتبر غير مقبول وغير مبرر". ومع ذلك فإن القادة اليهود في ألمانيا الذين يقارنون بين صدام حسين (أو أي شخص يتصادف أن يكون على قائمة

"المطلوب الإطاحة بهم" على قائمة إسرائيل والولايات المتحدة) وبين هتلر، ويقارنون بين الذين عارضوا الاعتداء الإجرامي للولايات المتحدة، وبين الذين حاولوا استرضاء هتلر، وليس ذلك أمرا مقبولا ومبررا فحسب، بل هو جوهر تعليم تاريخ الهولوكوست.

وبالطبع فإنه من المقبول والمبرر - ويمكن للمرء أيضا أن يقول: إنه مما يتناسب مع الموضة - مقارنة الفلسطينيين وقادتهم بالنازيين، فها هو شوينفيلد يحث على أن "يكون المرء حذرا في عقد المقارنات"، إلا أنه يصرح ليس فقط بأن "التوازي بين النازية وبين نمط اللاسامية العربية - الإسلامية الحالية" هو "ظاهر ظهورا صارخا"، وليس فقط أن مصير الإسرائيليين على يد الفلسطينيين يشابه "أوشويتز"(*)، ولكن أيضا أن الفلسطينيين فاسدون أخلاقيا أكثر من النازيين: "إذا كان هناك فرق (خلاف أمر القدرة على إيقاع الأذى) بين النازيين والفلسطينيين، فهو أن النازيين حافظوا على نواياهم الإجرامية بصفة شديدة السرية"، في حين أن "الفلسطينيين يعلنون على الملأ نواياهم الإجرامية"، إضافة إلى ذلك، ووفقا لشوينفيلد، فإن حقيقة "أن الهولوكوست... أخذت تتسم بصفة الشمول" و "تستخدم لخدمة عدد متنوع من القضايا المعاصرة " التي توحي باللاسامية - ماذا حدث للكلام عن "تعلم الدروس المستقاة من الهولوكوست؟" - والأكثر انحرافا من ذلك، وفقا لشوينفيلد، هم أولئك اللذين "يعكسون فكرة التحيز العنصري بطريقة ما؛ كي يوحوا بأن اليهود، الذين كانوا مرة ضحايا هذا التحيز، يستحقون الآن توبيخ العالم، بصفتهم مرتكبين لهذا التحيز". إن الدرس الوحيد من الهولوكوست هو أنها "مأساة يهودية حصرا"(33). وبعد كل شيء، فإن هذه التقييدات تجعل من الواضح أن "تعليم تاريخ الهولوكوست" والشعار المصاحب لذلك "لن يحدث مرة أخرى أبدا" إذ يستخدمان كسلاح عقدي للدفاع عن المصالح اليهودية.

وفقا لروبرت ويستريتش من الجامعة العبرية في القدس، هناك "خط تواصل" واضح بين هتلر والأصوليين الإسلاميين في مقتهما للحريات الغربية، ولا ينحصر ذلك عند هذا الحد، بل يتعداه إلى التواصل بين الأصوليين الذين يشبهون النازيين وبين "اليساريين المناهضين للعولمة" كذلك، ووفقا لويستريتش كذلك، فإن "ياسر

(*) أكبر معسكر اعتقال جماعي لليهود في الحقبة النازية. [المترجم]

obeikandl.com

عرفات، وكتائب الأقصى التابعة لحركة فتح" إضافة إلى "ملايين المسلمين السنة والشيعة، والوهابيين السعوديين المحافظين، وآيات الله الإيرانيين، والقاعدة، وحزب الله، وحماس، وحركة الإخوان المسلمين، والجهاد الإسلامي، وآخرين عديدين من القوميين العرب العلمانيين، وعلى الرغم من الفروق العديدة بين هذه الجماعات، إلا أنهم يظهرون العديد من الأمور المتشابهة مع النازية"، من ناحية كراهيتهم لليهود وإسرائيل، ويستنتج ويستريتش أنه كي يحل السلام في الشرق الأوسط "ويحدث حوار حقيقي بين الحضارات"، فيجب أن يعاني نازيو هذه الأيام "الهزيمة الشاملة الماحقة" ذاتها كما حدث لهتلر، وتزعم روث وايس من جامعة هارفرد، مرددة صدى شوينفيلد وويستريتش، أنه إذا ما أجرينا مقارنة مع لاسامية النازيين، "فإن الشكل العربي من اللاسامية أسوأ". وتشرح أن الألمان أخفوا حرب الإبادة "تحت غطاء النزاع الأوروبي الأوسع"، أما في حالة "الأمم العربية، ومن خلال منظمة التحرير الفلسطينية" فإن هذا التدمير "يكمن صراحة في صلب أهدافهم"؛ وبالفعل فهم يتبجحون صراحة بنواياهم الإجرامية.

وتحذر وايس بأن "الغرب تكبد خسائر فادحة لتجاهل حرب هتلر ضد اليهود"، و"لا يمكن للمرء، إلا أن يتمنى أن الغرب لن يتكبد خسائر كتلك لإهماله أو تهوينه لمدة طويلة من شأن الحرب العربية ضد إسرائيل واليهود". تجدر الملاحظة أن حراس ذكرى الهولوكوست هؤلاء ذاتهم عادة ما يستشيطون غضبا من أي مقارنة مع النازيين، إذ يخبروننا دائما "لا تعقدوا المقارنات" - إلا في حالة عقد المقارنة مع الأعداء العقديين لإسرائيل، أو أولئك الذين ينتقدون سياساتها، وهو ما يعني حاليا معظم العالم، ومن خلال العمل على دمج الفلسطينيين مع النازيين، بناء عليه إعلاء شأن النازيين بوساطة حشرهم في المظالم الحقيقية والعقلانية للفلسطينيين، فهل يقرب تجار الهولوكوست هؤلاء من تبرير كراهية النازيين لليهود، إن لم يكن تبرير الحل النهائي؟ يجدر التأكيد أيضا أن الأمر المحرم المتمثل في "الإشارة إلى، أو المقارنة مع أعمال إسرائيل بسلوك النظام النازي" ينطبق على أي إشارة، ومهما تكن بعيدة. فأحد كبار تجار الهولوكوست في فرنسا، أليان فنكلكرو، يشجب استخدام عبارات، مثل: حملات الاعتقال الجماعية، ومعسكرات الاعتقال، وأبراج المراقبة، في وصف أعمال الجيش الإسرائيلي؛ لأنها "تلمح إلى مقارنة مع النازية". فهل علينا أن

نقول: "بعد اجتماع صباحي مبكر، أعادت إسرائيل تجميع عشرات من الذكور الفلسطينيين في معسكر محاط بمنشآت مستطيلة مرتفعة تعلوها أضواء كاشفة؟"(34).

وأخيرا، فإن أفضل وسيلة لمكافحة اللاسامية الجديدة، وهذا أمر لا يدعو للمفاجأة، من خلال دعم إسرائيل، ففي الفصل المحوري من كتاب تشيسلر، وعنوانه "ماذا علينا أن نفعل"، تحث تشيسلر "كل يهودي" أن "يجد طريقة ما لدعم إسرائيل"، أما تقرير "تجليات اللاسامية في الاتحاد الأوروبي"، وفي تفصيله للبلدان المختلفة من ناحية "الممارسات الجيدة لتقليص التحيز والعنف والاعتداء"، فهو يدرج التصرفات المثالية الآتية: **اليونان**: - "كان هناك... معاملة ممتازة للصهيونية، بوصفها سعيا لتحقيق الهوية الوطنية وتأسيس الدولة من قبل... الصحفيين"؛ **إسبانيا**:- "قامت الكنيسة التبشيرية ومعهد الدراسات اليهودية المسيحية بالتعاون مع المجتمعات المحلية اليهودية في مدريد وبرشلونة بتنظيم تظاهرة لدعم إسرائيل"؛ **إيطاليا**:- "هناك... مواقع إنترنت تم إنشاؤها لغرض محدد، وهو مواجهة موجة التضليل والاستجابة على هجمات وسائل الإعلام على إسرائيل"؛ **فنلندا**:- "حضر متحدثون من إسرائيل لتقديم محاضرات حول الوضع في إسرائيل، كما تم تنظيم تظاهرة لدعم إسرائيل"(35).

توضح الأحداث الأخيرة ضآلة علاقة اللاسامية الجديدة باللاسامية الفعلية، وقوة ارتباطها بإسرائيل، كما تشير اللاسامية الجديدة بالفعل إلى التحالف المفتوح بين إسرائيل ومؤيديها، وبين اليمين المتطرف، وبعد مدة وجيزة من قيام رئيس الوزراء الإيطالي، سيلفيو برلسكوني، بامتداح نظام موسيليني الفاشي الذي سن قوانين لاسامية، وعمد في آخر مراحله إلى طرد آلاف اليهود إلى معسكرات الموت النازية، قدمت رابطة مكافحة التشهير لبرلسكوني جائزة رجل الدولة المميز، وشرح إبراهام فوكسمان، رئيس الرابطة، قائلا: "هذا الرجل هو صاحب الصوت الوحيد الواضح لدعم إسرائيل وتفهمها [في أوروبا]، وقد صرح بأن معاداة الصهيونية هي لاسامية"، واعترض ثلاثة يهود من الحائزين على جائزة نوبل في الاقتصاد (هم

فرانكو مدوغلياني، وبول أ. صامويلسون، و روبرت م. سولو) على منح الجائزة، إذ فاتهم أن الدعم الأعمى للجرائم الإسرائيلية له السبق الأخلاقي في هذا المضمار، وقال المعترضون: إن منح الجائزة "سيئ لليهود، وسيئ لإيطاليا، وسيئ للولايات المتحدة، وسيئ لإسرائيل"[36]، وبعد ذلك بمدة وجيزة، رحب المسؤولون الرسميون الإسرائيليون "بأبهة ومراسيم" بحضور جيانفرانكو فيني، قائد حزب التحالف الوطني الفاشي الجديد في إيطاليا، وكان فيني قد أشاد بموسيليني سابقا، بوصفه "أعظم سياسي في القرن العشرين"، وتلقى دعوة لزيارة إسرائيل، وفقا لمصادر إسرائيلية؛ لأن "القدس تنظر بعين الرضا على دعم فيني الذي لا يلين لسياسات شارون"، وكذلك بصفة خاصة، بسبب الخطاب الذي ألقاه فيني "خلال اجتماع لمنظمة بناي بيرث [المنظمة الأم لرابطة مكافحة التشهير] في ميلان دعما لسياج الفصل".

لم تعجب هذه الزيارة يوسي ساريد من حزب ميرتز الإسرائيلي، ودعا فيني "حثالة فاشي"، في حين استنكر وزير العدل الإسرائيلي السابق، يوسي بيلين، الزيارة بوصفها "مخزية لإسرائيل"[37] وإذا حكمنا بحسب سرد شوينفيلد، فإن "اليمين المتطرف" في البلدان المختلفة في أوروبا، لا يشكل خطرا قاتلا على اليهود، بل من المحتمل أن يكون حليفا قويا: "جورغ هايدر [من النمسا]، بصفة خاصة، أكد على أهمية الصداقة بين النمسا ودولة إسرائيل، وقام بزيارة إلى متحف الهولوكوست في العاصمة الأمريكية واشنطن، بينما اقترح جين مري ليبان [من فرنسا] بأن على اليهود الفرنسيين التحالف معه من أجل احتواء المشكلات التي تنشأ عن تدفق العرب"، ومن الحقائق المثيرة للدهشة بالفعل أن العديد من هؤلاء اليهود الذين يحذرون من اللاسامية الجديدة، يحذرون أيضا من التواجد العربي المتزايد في أوروبا[38]. وفي حالة حاكم ولاية كاليفورنيا، أرنولد شوارزينيغر، فقد كانت هناك ديناميكيات إضافية، فعلى الرغم من أن شوارزينيغر قام في السابق بامتداح هتلر، إضافة إلى الرئيس النمساوي السابق كورت فالدهايم، فقد كان "أشد المدافعين" عنه في أثناء الانتخابات لمنصب حاكم الولاية، وذلك في مركز سايمون ويزنثال، وهو الفرع الرئيس للوبي الإسرائيلي في الشاطئ الغربي للولايات المتحدة، وإضافة إلى قيام شوارزينيغر بكيل المديح على إسرائيل، فقد قام باحتياط إضافي يتمثل في

شراء صك غفران، فوفقا لمسؤول العمليات في منطقة لوس أنجلوس: "شوارزينيغر هو من أكبر المتبرعين في هوليوود لمركز روزنثال"، وبعد مدة وجيزة من انتخاب شوارزينيغر لمنصب حاكم الولاية، أعلن أنه سيقوم برحلة إلى إسرائيل لتدشين مشروع ريادي بتكلفة 200 مليون دولار، وهو متحف في القدس سيُنْشِئُه مركز روزنثال، ورحب الحاخام مارفين هير، رئيس مركز روزنثال في لوس أنجلوس، برحلة شوارزينغر المقبلة، بوصفها "بيان تضامن مع دولة إسرائيل". وليس تماما، فالأمر الأكثر احتمالا هو أن شوارزينيغر سيسعى لترشيح نفسه للمنصب لمدة انتخابية ثانية(39).

تماما كما استفادت إسرائيل من حرب الولايات المتحدة على الإرهاب، فقد استفادت الولايات المتحدة من اللاسامية الجديدة، إذ يسعى المبررون لإسرائيل إلى تلطيخ ناقدي سياسات الولايات المتحدة بوصم "اللاسامية"، وتماما كما شجعت إدارة كلينتون خدعة تعويضات الهولوكوست من أجل الحصول على تبرعات اليهود وأصواتهم، فمما لا شك فيه أن إدارة بوش دعمت خدعة اللاسامية الجديدة، وبذهنها الحسابات ذاتها، ومن خلال العمل معا، زجت إدارة بوش، وإسرائيل، واللوبي التابع لها بموضوع اللاسامية الجديدة في الأجندة الدولية، ففي نيسان/ إبريل 2004، تم إجبار منظمة الأمن والتعاون الأوروبية على عقد مؤتمر خاص في برلين مكرس للاسامية الجديدة.

وقد مثل الحكومة الأمريكية في المؤتمر وزير الخارجية كولن باول، الذي وصل على متن طائرة تابعة لسلاح الجو، وبصحبته إيلي ويزل الذي أوضح بما لا يدع مجالا للشك أمام جمهور يبلغ ألف شخص، على الرغم من عظاته المعتادة الفارغة من المعنى، السبب الحقيقي وراء جمع هذا الحشد: "هناك عدد كبير من المدن في العالم موبوءة بالكراهية الصريحة والعنيفة نحو الشعب اليهودي... فهناك لافتات اليسار المتطرف التي تشوه إسرائيل دون خجل... إثارة هائلة للعنف الهستيري المقنع بالبروباغاندا المعادية لإسرائيل.. وأي شخص يعبر عن تضامنه مع ضحايا الإرهاب في إسرائيل يتم وصمه، ويا للفضيحة! بأنه معادٍ للعرب". وفي ذلك المؤتمر، برر ويزل امتناعه عن الدفاع عن الفلسطينيين، على أساس أنه "لا يمكنني أن أربط نفسي مع أناس يعلمون أطفالهم ارتداء أحزمة ناسفة والذهاب للقتل"، وكأن ويزل الذي ظل يبرر انتهاكات إسرائيل للقانون الدولي كان يدعم حقوق الفلسطينيين قبل ظهور التفجيرات الانتحارية(40).

في حزيران/ يونيو 2004، نصب سيرك اللاسامية الجديدة خيمته الكبيرة في مقر الأمم المتحدة، وكان ويزيل، الحاضر بكُلِيَّتِه، من جديد في مركز الحلقة، وعبر عن حيرته من أنه "بعد 60 عاما على أسوأ مأساة في تاريخ البشرية" وعلى الرغم من أنه كان قد "اقتنع بأن اللاسامية قد ماتت في أوشويتز"، إلا أن كراهية اليهود تتنامى من جديد، وفي خطابه أمام منظمة الأمن والتعاون الأوروبية، ندب ويزيل أنه وبعد الحرب "ظن بسذاجة أنه، وخلال السنوات المقبلة، كلما ظهر للعيان أحد اليهود في أوروبا، فسيحمل على الأكتاف، وسيحاط بالجميع". وواصل ويزيل القول: "لو قال لي أي متشائم حينها: إنه، وخلال حياتي المتبقية سيتعرض اليهود للهجوم من جديد، لما كنت صدقت ذلك، ولكن هذا الأمر أصبح حقيقة واقعة الآن". فالمسكين إيلي ويزيل مصعوق، مصعوق! من الانبعاث المفاجئ للاسامية بعد انقضاء ستين عاما، ولننظر للتصريحات الآتية التي صدرت عنه: "لو أخبرنا أي شخص، عندما تم تحريرنا، أننا سنجبر خلال حياتنا المتبقية على مكافحة اللاسامية مرة أخرى... لما وجدنا القوة لرفع أعيننا من الخراب".

ومرة أخرى: "ما الذي يجعل اللاسامية منتشرة إلى هذا الحد بين الناس، ويضطر شعبنا من جديد للتعرض لهذا المرض الإنساني؟ فمن جديد ها هي اللاسامية تصبح خطرا، ففي كل أنحاء العالم هناك جهود منسقة تجري من جديد لعزل اليهود، ولم تكن إسرائيل وحيدة إلى هذه الدرجة من قبل، ولا يمكنك الفصل بين دولة إسرائيل عن شعب إسرائيل... ولهذا، فإن اللاسامية الجديدة في أوروبا، وفي الولايات المتحدة تشكل قلقا بالغا لجميع اليهود" وهناك مشكلة صغيرة مع الدهشة الحالية التي عبر عنها ويزيل، وهي أن التصريحين السابقين اللذين اقتبسناهما للتو، هما من عرض قدمه ويزيل في العام 1981 عن اللاسامية الجديدة، والثاني من خطاب ألقاه في نيسان/ أبريل 1981 بعنوان: "اللاسامية الجديدة"، وفي خطاب أمام الأمم المتحدة، دعا ويزيل اللاسامية بأنها "أقدم تعصب جماعي في التاريخ المدون"، إضافة إلى أنها تجمع بصفة فريدة جميع أشكال التعصب الأخرى، وكل شيء متعلق باليهود هو فريد بالضرورة: اللاسامية، والهولوكوست، وإسرائيل، والقومية اليهودية... وبعيدا عن الشوفينية البادية والمنفرة، فإن هذا التفرد هو مذهب فكري فارغ يؤدي وظيفة عقدية مفيدة إذ إنه يسمح

لإسرائيل الادعاء بإعفاء أخلاقي فريد: فإذا كانت معاناة اليهود فريدة، فلا يجب إذًا إلزام إسرائيل بالمعايير الأخلاقية الطبعية[41].

أما الأمين العام للأمم المتحدة، كوفي عنان، ومن دون شك سعيا منه لتسجيل بضع نقاط سهلة مع من يرعونه في واشنطن، فقد تماشى مع المسرحية، إذ أخذ يرنم: "بعد ستين سنة، ها هي اللاسامية تطل برأسها من جديد، وإن العالم يشهد انبعاثا خطيرا لتلك الظاهرة بأشكال وتجليات جديدة". وقد ناشد عنان "الجميع أن يعملوا بفاعلية ودون تسويات لدحض أولئك الذين يسعون إلى إنكار واقعة الهولوكوست أو تفردها". ولكن ما هي العقوبة التي يجب فرضها على الذين ينكرون تفردها - السجن؟ عقوبة الإعدام؟ السجن لمدة ساعة بصحبة ويزيل؟ قد يظن المرء أن كون الأمين العام أتى من قارة دمرها الاستعمار عبر التاريخ، سيكون أكثر تشككا بتفرد الهولوكوست، وأنه بالنظر إلى أن إفريقيا تجتاحها المجاعات والحروب والأمراض، سيكون له أولويات أهم من حشد المجتمع الدولي لتأكيد تفرد الهولوكوست.

وكما هو متوقع، تقهقر الاجتماع بسرعة؛ كي يصبح منبرا حرا للجميع من أجل تجريح الأمم المتحدة، فها هي البروفيسور في جامعة يورك، آن بايفسكي تتهم الأمم المتحدة بأنها "المزود الدولي الرئيس للاسامية" في حين ناشد إبراهام فوكسمان الأمم المتحدة أن تعمد أخيرا إلى "التوقف عن إسباغ الصفات الشيطانية على الشعب اليهودي، ونزع الشرعية عنه". أما مالكوم هوينلين من مؤتمر رؤساء المنظمات اليهودية الأمريكية الكبرى، فقد طالب بألا تفرض الأمم المتحدة على إسرائيل "معايير مستحيلة لا تفرضها على أي أمة أخرى". ووسط هذه الاستنكارات يجدر التذكير بالسجل الحقيقي للأمم المتحدة بخصوص إسرائيل، فوفقا للممثل الإسرائيلي السابق في الأمم المتحدة، ووزير الخارجية السابق إيبا إيبان، فإن "التوازن الطاغي" المترتب عن "تأثير الأمم المتحدة على مصير إسرائيل ووضعها، هو إيجابي إلى حد كبير"، و"لا توجد أي أمة منهمكة في كفاح من أجل الشرعية... حصلت على هذا الدعم الفاعل من مجال السلطة العامة للمنظمة الدولية" (صحيفة جيروسالم بوست، 1988).

على الرغم من أن الأمم المتحدة تخضع إسرائيل إلى معيار مزدوج، إلا أنه على العكس تماما مما يزعمه المبررون لإسرائيل: فلم يتم إخضاع إسرائيل إلى معايير أعلى، بل معايير أقل من تلك التي تفرض على الدول الأعضاء الأخرى، ولقد أجرى مارك ويلر من جامعة كمبردج دراسة متأنية قارن فيها بين إسرائيل والمناطق المحتلة، وبين أوضاع شبيهة في البوسنة والهرسك، وكوسوفو، وتيمور الشرقية، والكويت والعراق في أثناء الاحتلال، ورواندا، ووجد الباحث أن إسرائيل تمتعت "بحصانة فعلية" من فرض أي إجراءات، مثل حظر تصدير السلاح والعقوبات الاقتصادية، التي يتم تبنيها عادة من قبل الأمم المتحدة ضد الدول الأعضاء التي ترتكب انتهاكات شبيهة للقانون الدولي، وخلال الندوة التي عقدتها الأمم المتحدة حول اللاسامية، استنكر هوينلين أيضا "إنكار الهولوكوست من قبل ممثلين للأمم المتحدة"، وحتما فهو المرشح الأفضل لتصويب السجل التاريخي في الأمم المتحدة بخصوص الهولوكوست، ففي اجتماع جرى في تورينتو في نيسان/ إبريل 2004، قال هوينلين لجمهور المستمعين بأن: من أراد قتل اليهود لم يكن هتلر، بل مفتي القدس، وبعد تردد "استجاب هتلر إلى رغبات المفتي". فإن كان هوينلين عندما كان المتهمون في محاكمات نورمبرغ بحاجة إليه؟

وأخيرا، استنكر المشاركون في ندوة الأمم المتحدة المداولات "الشائنة" التي تجريها المحكمة الدولية بشأن السياج الإسرائيلي الفاصل، واستنكروا إعلان دوربان وبرنامج عمله؛ لأنه أورد أن "الفلسطينيين هم ضحايا العنصرية الإسرائيلية"؛ واتهم المشاركون في المؤتمر "اللاساميين والمعادين للصهيونية" الذين يحملون اعتقادا "مشوها" بأن "اليهود استخدموا الهولوكوست ذريعة لتجاهل معاناة الآخرين كافة"؛ وتساءلوا "ما إذا كانت الإشارة إلى الوجود الإسرائيلي في غزة والضفة الغربية، بصفته احتلالا أمرا ملائما" - فلماذا لا ندعوه رحلة مدرسية مثلا؟ الدكتورة روث ويستيمير، التي هاجرت من ألمانيا النازية، وتحولت إلى معالجة للمشكلات الجنسية عبر الإذاعة، عزفت النغمة الأقرب إلى الواقع، حينما "شجبت وجهة نظر المشاركين لقيامهم بمناقشة المشكلة، وعرضت خدماتها عليهم"[42].

obeikandl.com

3

هجم الذئب! (*)

يتألف ما يدعى حاليا باللاسامية الجديدة في الحقيقة من ثلاثة عناصر رئيسة:

(1) مبالغات واختلاقات.

(2) إساءة تصنيف النقد المشروع للسياسة الإسرائيلية.

(3) الامتداد غير المبرر، وإن يكن متوقعا، من انتقاد إسرائيل إلى انتقاد اليهود بصفة عامة.

المبالغات والاختلاقات

الأدلة على اللاسامية الجديدة يأتي معظمها من منظمات مرتبطة بصفة مباشرة، أو غير مباشرة بإسرائيل، أو أن لها مصلحة مادية في تضخيم الدلائل على اللاسامية. على سبيل المثال، يدرج تقرير "تجليات اللاسامية في الاتحاد الأوروبي" كأحد المصادر الأساسية للمعلومات في الدنمارك، "السفارة الإسرائيلية في كوبنهاغن"، وفي فنلندا "جمعية أصدقاء إسرائيل"، وفي إيرلندا "السفارة الإسرائيلية" إلى جانب "رابطة الصداقة الإسرائيلية الإيرلندية"، وما إلى ذلك. ويُصدر معهد ستيفن روث في جامعة تل أبيب تقريراً سنويّاً حول العنصرية واللاسامية المعاصرة، ويخدم التقرير كمصدر رئيس للمعلومات والتحليل، وأشار التقرير المسحي الذي أصدره المعهد فيما بين 2000 - 2001 بعنوان "اللاسامية في العالم"، إلى تطور مشؤوم: "تم استقبال كتاب البروفيسور نورمان

(*) إشارة إلى القصة الشعبية حول راعي الأغنام الذي أصابه الملل، وأراد أن يمازح الناس، فأخذ يصرخ بأن الذئب قد هجم، وعندما هجم الذئب بالفعل في أحد الأيام، لم يأت أحد لنجدته؛ ظنا من الناس أن الراعي يمزح. [المترجم]

فنكلستين، صناعة الهولوكوست، بترحاب شديد، وخصوصا في ألمانيا، ومن قبل اليمين المتطرف بصفة خاصة.... وعلى الرغم من أن أبحاثا ومنشورات جادة قد دحضت جميع محاجاته، إلا أنها أحيت صورة اليهودي المحتال الطماع المتعطش للسلطة" ولم يقتبس التقرير أي من هذه الأبحاث المزعومة التي دحضت حجج الكتاب، وربما كان ذلك لأنه لا يوجد أي بحث من هذا القبيل، فلقد امتدح راؤول هيلبرغ الاستنتاجات الرئيسة للكتاب، بوصفها "اكتشافات مهمة".

ويتم الاعتماد في توفير البيانات الخاصة باللاسامية كذلك، على المنظمات اليهودية الأمريكية المحلية، مثل رابطة مكافحة التشهير، ومركز سايمون ويزنثال، وعلى نظرائهما في أوروبا، وتتماثل علاقات تلك المنظمات بالدول المضيفة لها بالعلاقة التي كانت تربط الأحزاب الشيوعة بتلك الدول، باستثناء أن هذه المنظمات تنظر إلى إسرائيل، بوصفها الوطن الأم، بدلا من روسيا ستالين، وإذا لم تخرج تلك المنظمات بدلائل حول اللاسامية، فإنه سيتعين على إبراهام فوكسمان والحاخام هيير من مركز ويزنثال أن يبحثا عن عمل آخر، وفي حالة فوكسمان وهيير، فإن ذلك سيشكل مأساة حقيقية، إذ إن كلاً منهما يتقاضى نصف مليون دولار سنويا لعملهما في هاتين المنظمتين "الخيريتين"[1].

لقد ثبت بعد التحقق من الأمر، أن العديد من الادعاءات بخصوص اللاسامية هي ادعاءات مبالغ فيها بشدة، أو أنها مختلقة، فقد زعمت مقالة رئيسة في مجلة "فورين بوليسي" الأمريكية المؤثرة، بعنوان: "المشكلة اليهودية المتمثلة في مناهضة العولمة"، أن "المتظاهرين في العام 2003 في أثناء انعقاد المنتدى الاجتماعي العالمي الذي عقد في مدينة بورتو أليغري البرازيلية، كانوا يعرضون الصليب النازي المعقوف" وأن "المتظاهرين... حملوا لافتات كتب عليها "النازيون، واليانكي، واليهود: لا شعب مختار!"" ومع ذلك لم يشهد الذين شاركوا في التظاهرة بالفعل أي مظاهر من هذا النوع[2]، وفي مقالة ظهرت في مجلة "مذر جونز" بعنوان: "الوحش العنيف يعود"، أعلن تود غيتلين أن "اللاسامية الشريرة عادت،... وإن لم يكن هذا الأمر سيئا بما يكفي، الطلاب ينشرون الهراء. طلاب!" وكي يوثق هذه التهمة، يستشهد "برسالة إيميل انتشرت عبر العالم" كتبتها لوري زولوث، التي كانت في حينه مديراً للدراسات اليهودية في جامعة سان فرانسيسكو الحكومية.

وزعمت زولوث أن جامعة سان فرانسيسكو "هي جمهورية وايمر تسودها القمصان البنية، ولا تتمكن الجامعة من السيطرة عليها"(*)، والنازيون في هذه الحالة هم "حشد من الفلسطينيين الغاضبين". فبحسب المزاعم، اتحدوا في يوم ربيعي وشكلوا "مجموعة غوغائية خارجة عن السيطرة"، وشنوا "اعتداءات جسدية قاسية" ضد "طلبة كانوا يؤدون الصلاة، وامرأة مسنة، وهي من الزملاء المسنين، وكانت قد نجت من الهولوكوست"، في حين شاهدت الشرطة كل ذلك دون أن تتدخل، ومن المثير للاستغراب، أن تود غيتلين، بروفيسور الصحافة في جامعة كولمبيا، لم يتأكد على ما يبدو من مصدر الخبر، ولو فعل ذلك، لكان قد اكتشف أن الإجماع بين المتحدثين باسم اليهود في منطقة خليج فرانسيسكو، بما في ذلك الدكتور فريد آسترين المدير الحالي للدراسات اليهودية في جامعة سان فرانسيسكو الحكومية (وشهد شخصيا الحادثة المزعومة)، هو أن لوري زولوث لديها ولع "بالمبالغات الهائلة"، ومفطورة على عقلية رعتها سياسات "الماركسية اللينينية"، ولكن ولاءها ليس للاتحاد السوفييتي، كما في الأيام الخوالي، بل "لدولة إسرائيل اليهودية، الدولة التي أعشقها"، ولم تتدخل الشرطة؛ لأنه لم يحدث شيء يستدعي تدخلهم، وأشار غيتلين إلى أن الأصداء التي نتجت عن الرسالة الإلكترونية التي أرسلتها لوري زولوث تدل على "قوة الإنترنت" أكثر مما تدل على قوة الحقيقة، وبعيدا عن هذا الاعتداء الذي لم يحدث أبدا في جامعة سان فرانسيسكو الحكومية، فإن الدليل الوحيد الذي يسوقه غيتلين على أن "خطر اللاسامية واضح وموجود" حدث في الجامعة، إذ تساءل "طالبان أدرس لهما" ما إذا كان اليهود قد تغيبوا بالفعل عن عملهم في مركز التجارة العالمي في 11 أيلول/ سبتمبر. فحقا إن "الوحش القاسي عاد"(3).

نشرت المجلة الشهرية الأمريكية اليهودية التقدمية "تايكون" مقالاً مطولا كتبته ميريام غرينسبان بعنوان: "ما هو الجديد حول اللاسامية؟" حيث كالت المديح لكتاب

(*) جمهورية وايمر هي لقب يطلقه المؤرخون على الجمهورية الألمانية التي تأسست في أعقاب الحرب العالمية الأولى بعد إلغاء الأمبرطورية الألمانية، وامتدت حتى صعود هتلر في العام 1933، أما القمصان البنية فتشير إلى قوات شبه عسكرية لعبت دورا كبيرا في صعود النازيين، وتم اشتقاق الاسم من الرداء البني الذي كانوا يرتدونه. [المترجم]

فيليس تشيسلر، بوصفه "إسهاماً حيوياً لفهم انبعاث هذا الصنف الجديد البغيض من اللاسامية". وقد أوردت الكاتبة الإثبات على "هذا الصنف الجديد البغيض" في الفقرة الأولى من المقال: "طالب يهودي يلبس قلنسوة في جامعة ييل تعرض لاعتداء من قبل فلسطيني في سكن الطلاب". ومع ذلك لم يسمع أحد من مركز ييل للحياة اليهودية بهذه الحادثة من قبل، كما لم تسمع إدارة الجامعة من قبل أبدا بهذا الاعتداء المزعوم. وفي جامعة شيكاغو، أورد غابرييل شوينفيلد أن "مدرسا معينا من قبل الجامعة أخبر طالبا يهودياً أنه لن يقرأ الورقة التي كتبها الطالب في برنامج الماجستير؛ لأنها تركز على موضوعات متعلقة باليهودية والصهيونية". ومع ذلك، لم يقم أحد أبدا برفع شكوى لمركز الحياة اليهودية في جامعة شيكاغو، في حين قامت الجامعة، بعد أن علمت بهذه المزاعم (التي ظهرت للمرة الأولى في موقع الإنترنت اليميني كامبس ووتش[مراقبة الجامعات])، بإجراء تحقيق مستفيض، ولم تجد أي دليل يدعم هذه المزاعم، وفي بدايات عام 2004، تعرضت جامعة كولمبيا في نيويورك لانتقادات شديدة، فقد تم عرض فيلم أنتجته منظمة مجهولة لجمهور من المدعوين، واشتكى طلاب "مؤيدون" لإسرائيل، مستخدمين لغة اللياقة السياسية أن "أصواتهم" في الدفاع عن إسرائيل قد تم إسكاتها من قبل أعضاء في هيئة التدريس.

وخرجت بعض الصحف المحلية بعناوين بارزة بأن جامعة كولمبيا تكتسحها اللاسامية، ودعوا بمعية بعض السياسيين المحليين إلى طرد بعض المدرسين من الجامعة، وكانت هذه الهستيريا بخصوص جامعة كولمبيا جزءا من حملة أوسع بكثير من تنظيم تجمع من المنظمات والمؤسسات المتنفذة من "المؤيدة" لإسرائيل من أجل "استعادة" الجامعات، حيث نجح عدد قليل من الأساتذة المعارضين خلال السنوات الأخيرة في كسر الاحتكار الكامل للحوار العام حول هذا الأمر من قبل المبررين لإسرائيل، وفي كانون الأول/ ديسمبر 2004، قام لي بولينجر، رئيس جامعة كولمبيا، بتعيين لجنة خاصة للتحقيق في شكاوى الطلاب، وأصدرت اللجنة استنتاجاتها في آذار/ مارس 2005، فبعد تقصي مستفيض، وعلى الرغم من الضغوط الكبيرة على الجامعة للخروج بنتيجة ترضي المؤسسات الصهيونية، لم تتمكن اللجنة من التوثيق إلا لحالة واحدة قد يكون فيها بعض التعدي، وتخص بروفيسورَ فلسطينيا وجه إليه

أحد الطلاب سؤالا خلال مدة الاجتياح الإسرائيلي لجنين، "فثار غضب الأستاذ؛ لأنه فهم أن السؤال يعبر عن دعم لسلوك إسرائيل الذي يعترض عليه، و...، وأجاب بانفعال".

وفيما يخص مزاعم وجود اللاسامية، فقد استنتج التقرير بصفة قاطعة: "لم نجد أي دليل على تصريحات صدرت عن أي من المدرسين يمكن تفسيرها بصفة معقولة على أنها لاسامية". ومن الأمور المهمة، أن أشد الإدانات التي وردت في الاستنتاجات لا تتعلق بناقدي إسرائيل، بل بمؤيديها، فقد أشار التقرير إلى أن "طلابا" غير مسجلين في الجامعة كانوا يشوشون على الدروس التي يقدمها المدرسون الناقدون للسياسات الإسرائيلية، ويقومون بتصوير مجرياتها بصفة سرية، ويظهر أن أحد المدرسين في جامعة كولومبيا قام بتجنيد طلاب؛ كي يسجلوا ما يحدث في محاضرات يقدمها أستاذ معارض لإسرائيل، ويزودوه بتقارير عنها، وذلك "كجزء من حملة ضد ذلك الأستاذ". وقد استخدمت اللجنة أقسى العبارات في التقرير حول هذه النقطة الأخيرة: "إننا نرى أن ما يبعث على القلق الشديد استعداد أساتذه لتشجيع طلاب على التجسس على دروس أساتذة آخرين"، مما يحول الطلاب إلى "عملاء تجسس".

وعلى الرغم من أن مزاعم حدوث تصرفات لاسامية قد تم دحضها رسميا، إلا أن الهستيريا التي حدثت أرغمت جامعة كولومبيا، وجامعات أخرى على تخصيص كراسي تدريس حول الدراسات الإسرائيلية، أي مواقع جديدة للتلقين المذهبي، وذلك إلى جانب الكراسي المخصصة لدراسات الهولوكوست، في الواقع إن ما تبدَّى بالفعل من حادثة جامعة كولومبيا، ليس إثبات زيف مزاعم حدوث تصرفات لاسامية، بل الكيفية التي قام بها عملاء بحكم الأمر الواقع لحكومة أجنبية، بالتآمر من أجل إخماد الحريات الأكاديمية في الولايات المتحدة خدمة لتلك الدولة المقدسة[4].

ألقى رئيس جامعة هارفرد، لورنس سومرز، خطابا أشار فيه إلى آفاق انتشار اللاسامية في الجامعات، وتلقى الخطاب الكثير من الانتباه والمديح، إذ إن الوظيفة الرئيسة لرئيس الجامعة هي جمع التبرعات، ويستذكر آلان ديرشويتس، أستاذ القانون في جامعة هارفرد، أن أحد جامعي التبرعات في الجامعة أخبره أنه في السنوات الأخيرة "أصبحت هارفرد تعتمد فعليا في الدعم المالي على اليهود". ولا

يتطلب الأمر أن يكون المرء اقتصاديا لامعا؛ كي يتبين أن لعب بطاقة اللاسامية لن يؤذي نشاط جمع التبرعات، وقد أصبحت التنويعات على هذه الحبكة من الأمور المعتادة في هارفرد، ومن الأكيد أن أستاذ الجامعة الأسود هينري لويس غيتس لم يخسر أي نقاط في هارفرد عندما شجب في العام 1992 اللاسامية التي تبدر عن السود، أو ما دعاه في حينه "اللاسامية الجديدة" - إن المرء ليعجب من كثرة استخدام هذه العبارة - وذلك في مقالة نشرها على صفحة كاملة في صحيفة نيويورك تايمز، إذ إن التهجم على الناس الذين لا حول لهم، وخصوصا إذا كانوا "من لون بشرتك"، من أجل التملق للمتنفذين، أصبح يُدعى شجاعة أخلاقية في أوساط النخبة[5] ويقدم بوول بيرمان دليلا على عودة انبعاث اللاسامية، من خلال متحدثة وحيدة في مؤتمر سنوي للأكاديميين الاشتراكيين عقد في نيويورك، إذ "صرحت بموافقتها على الهجمات الانتحارية"، كما أشار إلى شخص وحيد من الجمهور "قام بالدفاع عن المتحدثة"، ثم يزعم بيرمان أن "هناك شيئا ما تغير" حيث إن دعم الهجمات الانتحارية لا يشكل بحد ذاته دليلا على اللاسامية، وإن كان الأمر كذلك، فما الذي يثبته هذا المثال؟ لقد أورد بيرمان أن آلاف الأشخاص حضروا المؤتمر، بما في ذلك "كل الطوائف السخيفة في اليسار". وبالنسبة لبيرمان فإن هذه المتحدثة الوحيدة والعضو الوحيد من الجمهور يكشفان أن "الرياح الجديدة بدأت تهب بالتأكيد". وإذا كان الأمر كذلك، فمن غير شك أن رادار الأحوال الجوية لن يلتقط هذه الرياح[6].

إن الأدلة التي تثار لإثبات وجود اللاسامية الجديدة، عادة ما يثبت بعد التقصي أنها ليست أدلة على الإطلاق، وأحد الأدلة الرئيسة التي يقدمها تقرير "تجليات اللاسامية في الاتحاد الأوروبي" هو ملصق [بوستر] "لاسامي" تم توزيعه للإعلان عن تظاهرة ضد زيارة كان بوش يعتزم القيام بها إلى برلين (انظر الشكل رقم 1).

ويقول تحليل التقرير للملصق: "الصورة المعروفة "للعم سام" تظهر "أنفا يهوديا نمطيا". كما أن الملصق يشير ضمنا إلى مؤامرة يهودية عالمية مفترضة، إذ يتدلى خيط من طرف أصبع "العم سام" في نهايته شكل للكرة الأرضية، وإن عرض "العم سام" كيهودي يشير إلى التأثير اليهودي المفترض على سياسة الولايات المتحدة، ويجمع بين مشاعر العداء للولايات المتحدة ومشاعر العداء لليهود"، وقد قام كاتب هذه السطور

بعرض هذا الملصق على أشخاص عديدين، ولم ير أي منهم أنفا يهوديا في الصورة، ولندع جانبا أمر المؤامرة اليهودية، ومع ذلك أشار بعض من رأوا الملصق أنه يشبه ملامح الأفارقة الأمريكيين إلى حد ما، ومن الواضح أن مؤلفي تقرير "التجليات" بحاجة لمدة نقاهة طويلة، فقد لاحظ شوينفيلد لاسامية "كلاسيكية" في إعلان أصدرته منظمة "تايكون" لمعارضة الاحتلال (انظر الشكل رقم 2). ألا تدل اللافتة التي تقول: "اليهود ليسوا معتدين، أو مستغلين"، مرفقا معها إشارة السلام، دليلا قاطعا على اللاسامية؟[7].

الشكل 1: حالة الأنف السامي المزعومة. تصميم أوتا إيكورث، برلين.

بمثل ذلك، يتشمم إبراهام فوكسمان اللاسامية في كل مكان، فمن باب اللاسامية الاعتقاد بأن "ولاء اليهود لإسرائيل يزيد عن ولائهم لهذا البلد"، ومع ذلك، فبالنسبة للعامة يمكن أن يكون هذا الزعم صحيحا فعلا، وبالنسبة للعديد من الصهاينة، فمن المستحسن أن يكون صحيحا، بل إن فوكسمان نفسه يؤكد أن إنكار حق الشعب اليهودي في أن يكون له "وطن خاص به" و "الاستقلال والسيادة" في إسرائيل هو أمر لاسامي، ولكن، ألا يعني هذا أن إسرائيل هي دولة اليهود بصرف النظر عن مكان سكناهم؟ ومن يستطيع أن يشكك في أن فوكسمان يتصرف بصفته

مواليا لإسرائيل، أو، على أية حال، عميل مدفوع الأجر لها، ولقد كان الأمر "لاسامية بصفة واضحة لا لبس فيها" عندما "سعت بلجيكا، التي تقع فيها لاهاي التي تضم محكمة العدل الدولية... إلى توجيه اتهامات لرئيس وزراء دولة إسرائيل بارتكاب جرائم ضد الإنسانية"، وكذلك عندما عارض الدنماركيون تعيين سفير إسرائيلي فيها له سمعة شائنة بممارسة التعذيب، ويبرر فوكسمان هذه الاتهامات باللاسامية على أساس أن جرائم شبيهة تم ارتكابها لم تخضع للمساءلة، ولنتجاوز مسألة أن لاهاي لا تقع في بلجيكا، ولكن في هولندا، ألا يقوم جميع المجرمين (والمبررون لهم) بالتشكي من الملاحقة القضائية الانتقائية إذ يتم ملاحقة مجرمين معينين ويتم التغافل عن مجرمين آخرين؟ ولكن أمثال فوكسمان فقط يزعمون أن إخضاع المجرمين وممارسي التعذيب للمساءلة بسبب جرائمهم يشكل لاسامية، ويؤكد فوكسمان أيضا أن الزعم بأن اللجنة الأمريكية الإسرائيلية للشؤون العامة (إيباك) [رأس اللوبي الإسرائيلي في أمريكا]، تقوم باستهداف المرشحين الذين ينتقدون إسرائيل "هو أصداء للتشهير اللاسامي"، وإن تكن إيباك ذاتها تفاخر بممارسة هذا الأمر.

ويدعو فوكسمان القراء للاطمئنان بخصوص عبارة اللاسامية، إذ "نحن حريصون جدا بخصوص كيف نستخدمها ومتى" وإن رابطة مكافحة التشهير "بذلت مقدارا كبيرا من التفكير حول إيجاد التمييز الدقيق بين الدرجات والمستويات المختلفة من اللاسامية في الخطاب والتصرفات" وهذه الحصافة والدقة كانت بادية للعيان على أكثر ما يكون عندما قامت رابطة مكافحة التشهير بتشويه سمعة هذا الكاتب ،بوصفه "ناكرا معروفا للهولوكوست". ويواصل فوكسمان القول: "إذا كنت متهورا في إطلاق الاتهامات باللاسامية، فإنني سوف أخسر مصداقيتي بسرعة وبناء عليه أي فاعلية كشخص قيادي في هذا المجال" ولقد تصدى فوكسمان للدفاع عن رونالد ريغان، عندما أعلن خلال رحلة قام بها إلى مقبرة بيتبورغ في ألمانيا، أن الجنود الألمان (بما في ذلك أعضاء الشرطة السرية) المدفونين في هذه المقبرة "هم ضحايا للنازية، مثلهم مثل ضحايا معسكرات الاعتقال الجماعية"، ثم قام فوكسمان لاحقا بتكريم ريغان بجائزة "مشعل الحرية" التي تقدمها رابطة مكافحة التشهير.

obeikandl.com

ولقد أشرف فوكسمان على عملية التجسس واسعة النطاق المرتبطة بالاستخبارات الإسرائيلية، ونظام العزل العنصري في جنوب إفريقيا، وبعدما حصل على مبلغ مالي من مارك ريتش - ملياردير تجارة السلع الذي فر إلى سويسرا قبل مثوله أمام المحكمة، بسبب إحدى وخمسين تهمة تتضمن التهرب من الضرائب، والاحتيال، وانتهاك العقوبات الاقتصادية المفروضة على إيران - تمت مساعدته على تأمين عفو رئاسي في أثناء الساعات الأخيرة من رئاسة بيل كلينتون، وإنَّ كون هذا الرجل ما زال يمتلك مصداقية، لهو دلالة رهيبة على الثقافة السياسية المعاصرة في الولايات المتحدة[8].

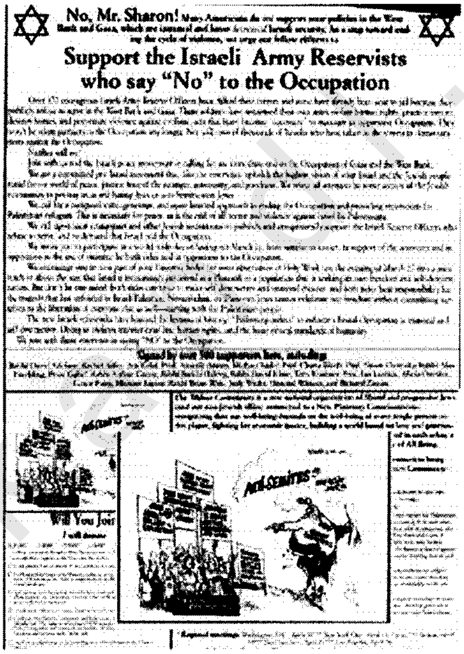
No, Mr. Sharon!

Support the Israeli Army Reservists who say "No" to the Occupation

شكل 2: "أحد أنماط اللاسامية التقليدية". من مجلة تايكون.
رسم كاريكاتيري من إعداد خليل بنديب[*].

يستشهد تقرير "التجليات" بدليل على اللاسامية في أوروبا من استطلاع للرأي العام أجرته رابطة مكافحة التشهير في الاتحاد الأوروبي يُظهر أن نصف المستجيبين

(*) يظهر في الكاريكتير أشخاص من مؤيدي حركة تايكون يحملون لافتات تقول: "لا يجوز أن يكون اليهود معتدين، أو مستغلين"، و"لا ينبغي أن يميز اليهود ضد الآخرين"، و"لا يجوز أن يحتل اليهود أراضي الآخرين، بما يتنافى مع القانون"، و"اليهودية معنية بالعدالة والتعاطف والمحبة"، ويظهر من الناحية المقابلة شخص سمين يمثل اليمين الصهيوني يصيح بالمتظاهرين، ويدعوهم "لاساميين".

obeikandl.com

للاستطلاع تقريبا وافقوا على العبارة بأن: "اليهود ما زالوا يتحدثون كثيرا عن الهولوكوست". في الواقع، إن ما يثير الاستغراب هو أن نسبة الأوروبيين الذين يشعرون بالسخط من الاستغلال السياسي الشوفيني للهولوكوست ليست أكبر كثيرا مما هي عليه، وفي التفصيل حسب البلدان في تقرير "التجليات"، يشير التقرير أيضا إلى الحالات المزعومة الآتية من اللاسامية: الدنمارك - " امرأة مرتبطة بالمنتدى اليهودي التقدمي وصفت كيف،... عندما تدخل إلى مكتبها، يقول لها زميل: "لقد قمت باحتلال مقعدك جيدا، أليس كذلك - قه قه قه"؛ اليونان - "مقالان... طرحا وجهة نظر، هي أن اليهود أفرطوا في استخدام الألم الذي نجم عن قسوة الهولوكوست"؛ إيطاليا - "تمت رؤية كلمات بخط عريض مكتوبة على حائط، تقول: اليهود قتلة"، وذلك في ممر للقطار تحت الأرض في مدينة براتو" (ولكن هل تفحصوا أنفاق الصرف الصحي في مدينة أبروزي؟)؛ هولندا - "بائع يهودي في السوق في مركز أمستردام تم تهديده بمسدس، وبالعبارة: "سأطلق الرصاص عليك وأقتلك"" (أليس هذا ما يقوله اللصوص عادة؟). لا شك أن واضعي تقرير "التجليات" كانوا مدركين لمدى هشاشة هذه الأدلة - إن لم نقل مدى إثارتها للسخرية - لذلك عمدوا إلى افتراض وجود "تحيز لاسامي ومعادٍ للصهيونية عميق، وكامن بين الجمهور الألماني"، و "لاسامية روحية (أو نفسية)" بين الإيطاليين، و "هيكل ضمني" لاسامي بين اليونانيين، وكذلك، وكما عرضنا سابقا، "رائحة لاسامية" بين البريطانيين[9].

بعد مدة وجيزة من نشر تقرير "التجليات"، أصدر مركز المراقبة الأوروبي المعني بالعنصرية وكراهية الأجانب تقريرا آخر أكثر شمولا بعنوان: "تجليات اللاسامية في الاتحاد الأوروبي 2002 - 2003" (سنشير له منذ الآن باسم تقرير "التجليات 2"، ويمحص التقرير في حالات اللاسامية التي جرت خلال سنتين كاملتين، بدلا من مدة الأشهر القليلة التي تعرض لها تقرير "التجليات" الأول[10]، وعلى الرغم من أن هذا التقرير ظل يعاني من بعض التحيز والتبريرات التي ساقها تقرير "التجليات" الأول، لكنه كان أكثر دقة بكثير، وأكثر رصانة[11]. ومن دون شك، فكون استنتاجات تقرير "التجليات 2" لم تكن معنية بإثارة المشاعر، ونشر هستيريا انتشار اللاسامية،

فقد تم تجاهله إلى حد كبير في وسائل الإعلام، وكان أحد المؤشرات الجلية على الجدية النسبية للتقرير هو أن إبراهام فوكسمان عبر عن "خيبة أمله" من التقرير(12)، خلال العامين الكاملين اللذين يغطيهما تقرير "التجليات 2"، وفي جميع دول الاتحاد الأوروبي الخمس عشرة التي يشملها التقرير، فلم يورد التقرير أي حالة قتل ناجمة عن اللاسامية، وأورد عددا قليلا من الاعتداءات التي نتج عنها أضرار شخصية(13)، وعلى الرغم من ذلك، كان هناك عدد كبير من الاعتداءات على ممتلكات اليهود، بعضها خطير، وكانت الغالبية العظمى من حالات اللاسامية تتألف من أنواع مختلفة من التهديد الشفهي والإساءات؛ على سبيل المثال، "تم إرسال رسالة لاسامية، صادرة من فرنسا، إلى شخص في بلجيكا"؛ "في باريس، تعرض رجلا كان يصطحب أبناءه الثلاثة للإهانة، إذ قال له أحد المارة: "لقد قتلت طفلا فلسطينيا"، وكذلك "بعد إجراء بحث على الإنترنت، ظهر تقرير عن مزارع في شمال النمسا وضع لافتة أمام مزرعته، تقول: "اليهود يبتزون العالم بأكمله" و"أريئيل شارون يمارس إرهاب الدولة"(14).

وفي فرنسا، التي شهدت أكبر عدد من حالات اللاسامية من ضمن الدول التي شملها المسح الاستقصائي، على سبيل المثال، ثلاث اعتداءات تخريب نتج عنها أضرار لممتلكات يهودية عامة عام 2002، ومع ذلك لم يحدث أي اعتداء كهذا عام 2003(15)، فإن الدليل على انتشار كبير للاسامية معدوم تماما، بل العكس هو الصحيح: "تظهر الاستطلاعات أن النزعة اللاسامية ضمن الجمهور الفرنسي العام تتناقص"، إذ أجاب 89 بالمئة من الذين شاركوا في الاستطلاع بنعم على السؤال: "هل الشخص الفرنسي من أصول يهودية "يتساوى في انتمائه لفرنسا مع الآخرين"؟" وعلى الرغم من أنه في حالة فرنسا كان الشباب المسلمون في معظم الحالات مسؤولين عن التصرفات اللاسامية، فقد وجدت دراسة استقصائية أنه، وبصفة عامة: "الشباب الذين تعود أصولهم إلى شمال أفريقيا هم في الواقع أقل تسامحا مع التصرفات اللاسامية، مقارنة مع المتوسط". وأخيرا، تجدر ملاحظة أن "عدد ضحايا اللاسامية" في فرنسا كان "أقل من عدد المهاجرين من ضحايا" الاعتداءات الناجمة عن التعصب(16).

خلال المدة التي صدر بها تقرير "التجليات 2"، نشر مركز الاستطلاعات المعروف "مركز بيو" نتائج آخر استطلاع دولي، وقد تم إجراؤه خلال المدة من أواخر

obeikandl.com

شباط/ فبراير إلى بدايات آذار/ مارس 2004 في الولايات المتحدة، وفي ثماني دول أخرى، ووجد الاستطلاع أنه "على الرغم من الشواغل حول تصاعد اللاسامية في أوروبا، إلا أنه لا توجد مؤشرات بأن مشاعر معاداة اليهود قد ازدادت خلال العقد الأخير، وقد وجد الاستطلاع أن الردود الجيدة بشأن اليهود هي أعلى الآن في فرنسا، وألمانيا، وروسيا مما كانت عليه عام 1991" وإن الأمر ببساطة هو أن المزاعم بانتشار واسع للاسامية ما هي إلا خداع، وإن من شأن أي أجندة سياسية غير مقادة بدوافع أيدولوجية أن تصنف الكراهية الموجهة نحو المسلمين على أنها الشاغل الرئيس في هذا المجال، نظرا إلى أن "الأوروبيين يحملون وجهات نظر سلبية حول المسلمين أكثر بدرجة كبيرة من تلك الموجهة لليهود"(17)، ولكن الهستيريا المتعلقة باللاسامية الجديدة ليس لها أي علاقة بمكافحة التعصب - وكل غرضها هو قمع الانتقادات الموجهة إلى إسرائيل.

إساءة تصنيف النقد المشروع للسياسة الإسرائيلية

هناك إجماع واسع بين المعنيين بهذا الموضوع على أن بزوغ اللاسامية الجديدة يتزامن مع آخر اهتياج في صراع إسرائيل - فلسطين، والذي وصل إلى ذروته في عملية الدرع الواقي وحصار جنين في ربيع عام 2002: "منذ بدأت الانتفاضة الجديدة في أيلول/ سبتمبر 2000، تصاعد اللغو اللاسامي والعنف الجسدي ضد اليهود في جميع بلدان العالم تصاعدا كبيرا، مما أدى إلى تأجيج المشاعر المعادية لإسرائيل" (فوكسمان)؛ "الانبثاق الحالي البغيض [للاسامية] في أوروبا (وإلى حد أقل) في الولايات المتحدة، يبدو أنه ظاهرة مصاحبة للصراع العربي - الإسرائيلي. ومن دون شك، فإن اللاسامية اشتدت كثيرا في كلتا القارتين مع اندلاع الانتفاضة الثانية" (شوينفيلد)؛ "إن حقيقة وجود تزايد في النشاطات اللاسامية يمكن ملاحظته بوضوح في معظم الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي، منذ بدء ما يسمى انتفاضة الأقصى... يشير إلى ارتباط ما بين الأحداث في الشرق الأوسط والانتقادات لإسرائيل من ناحية، وبين تصاعد اللاسامية من ناحية أخرى" (تقرير التجليات)؛ "إن الرابطة بين حالات اللاسامية التي تم الإبلاغ عنها، وبين الوضع

السياسي في الشرق الأوسط... يمكن مشاهدتها من خلال الذروة المرتفعة من الحالات التي حدثت في بعض البلدان خلال شهر نيسان/ إبريل 2002؛ وهو الشهر الذي قام الجيش الإسرائيلي خلاله باحتلال العديد من البلدات الفلسطينية، بصفة مثيرة للخلاف" (تقرير التجليات 2). ستظهر العلاقة السببية أن القمع الإسرائيلي الوحشي للفلسطينيين أثار العداء نحو "الدولة اليهودية" ونحو المدافعين عنها من اليهود في الخارج.

ووفقا لذلك، وجدت دراسة استقصائية أجرتها رابطة مكافحة التشهير أن ما يقارب ثلثي الأوروبيين يعتقدون أن "العنف الذي اندلع مؤخرا ضد اليهود في أوروبا ناتج عن مشاعر مناهضة لإسرائيل، وليس عن مشاعر اللاسامية التقليدية، أو العداء التقليدي نحو اليهود"، في حين أنه في إيطاليا على سبيل المثال، "قدَّر المعلقون أن صعود نطاق اللاسامية هو نتيجة لسياسة الحكومة الإسرائيلية نحو العرب منذ اندلاع الانتفاضة". وبمثل ذلك، وجد تقرير "التجليات" أنه، وبعيدا عن جماعات "الجناح اليميني المتطرف" الهامشية، والذين تعتبر اللاسامية بالنسبة لهم دائما موضوعا لحشد التأييد، فإن العداء والعنف ضد اليهود في أوروبا يقوم به بصفة أساسية "الشباب من أصول إسلامية وغالبا عربية" والذين يتعاطفون مع كفاح الفلسطينيين. (يحذر تقرير التجليات الثاني أنه "استنادا إلى المعلومات المتوفرة، وبالنظر إلى أوروبا بصفة عامة، فمن الصعب إصدار تعميمات" بخصوص من هي الجهة ضمن هاتين المجموعتين التي تتحمل المسؤولية الأكبر عن التصرفات اللاسامية)(18). هذا التفسير ينطبق أيضا، بصفة معكوسة، على التناقص المتسارع في كراهية إسرائيل واليهود عندما بدا الأمل كبيرا في إحلال تسوية عادلة في أثناء السنوات المبكرة "لعملية السلام" ضمن مفاوضات أوسلو، مما دفع حتى ديرشويتس إلى الإقرار بتراجع اللاسامية إلى الهامش، ليس فقط في الولايات المتحدة، ولكن على المستوى الدولي أيضا(19).

ومع ذلك، فإن هذه العلاقة السببية تحديدا هي ما ينكره بشدة المبررون لإسرائيل؛ فإذا كانت السياسات الإسرائيلية، والتأييد اليهودي الواسع لها، يثير العداء نحو اليهود، فهذا يعني أنه من الممكن أن إسرائيل ومؤيديها اليهود يتسببون بانتشار اللاسامية؛ وقد يكون الأمر على هذا النحو لأن إسرائيل ومؤيديها اليهود هم

على خطأ، وهناك مذهبية جامدة بدهية لدى صناعة الهولوكوست ترفض هذه الفرضية: إذ لا يمكن للعداء نحو اليهود أن ينجم عن أخطاء ترتكب من قبل اليهود، وتذهب المحاجة على الشكل الآتي: لقد كان الحل النهائي أمرا غير عقلاني؛ لقد مثل الحل النهائي ذروة اللاسامية الأزلية من قبل غير اليهود؛ إذاً، فكل تجلٍ للاسامية هو أمر غير عقلاني[20]. وكون اللاسامية مترادفة مع العداء نحو اليهود، فإن أي عداء وجميع أنواع العداء نحو اليهود، أكان فرديا أو جماعيا، هو للاسامية، وعادة ما يزعم فوكسمان "اللاسامية... تشبه المرض من ناحية أنها غير عقلانية في جوهرها". ووفقا لشوينفيلد، "إن الذين يكرهون اليهود لا يكنون هذا الكره بسبب دليل فعلي، ولكن بسبب تجاوز الدليل الفعلي". ولهذا، يصبح الفلسطينيون مهاجمين انتحاريين ليس بسبب التصرفات الملموسة التي ترتكبها إسرائيل، بل لأنه تم تحويلها إلى "تجريد شيطاني".

أما بالنسبة لروزنباوم، فإن اللاسامية هي بلاء غير عقلاني، متعذر التفسير، ومتعذر اجتنابه، يصيب غير اليهود: "إن تفسير اللاسامية المتجددة، هو أمر ينطوي على لاسامية بحد ذاته: فاللاسامية أمر سابق للتاريخ يتعذر استئصاله، واستئصال تأثيره، فلقد أصبحت اللاسامية أصلا لذاتها"، وقد اقترح الملياردير اليهودي جورج سورس تفسيرا مخالفا لذلك، إذ قال أمام مجموعة من مشاهير اليهود: إن سبب "عودة اللاسامية في أوروبا" يعود إلى حد كبير إلى سياسات شارون وسلوك اليهود. وكما هو متوقع، فقد صب جمهور المستمعين جام غضبهم عليه، حيث ارتكب أفرهام بورغ، وهو رئيس سابق للكنيست الإسرائيلي، الخطيئة ذاتها، إذ أشار إلى أن "المزاج المعادي نحو إسرائيل الموجود حاليا في المجتمع الدولي ناشئ بصفة جزئية عن سياسة الحكومة الإسرائيلية"، وبعد الخطاب الذي ألقاه سورس، أجاب إيلان ستاينبرغ من الكونغرس اليهودي العالمي، بحزم: "دعونا نفهم الأمور بوضوح، إن سبب اللاسامية ليس اليهود؛ بل إن اللاساميين هم من يتسببون بها"، ووصف فوكسمان تعليقات سورس بأنها "بذيئة بصفة مطلقة". إذا كان أمرا "بذيئا" أن يقول يهودي: إنه من المحتمل أن اليهود يتسببون بصعود اللاسامية، فإن صدور هذا الكلام عن شخص غير يهودي يشكل، وياللمفاجأة! تصرفا لاساميا، وقد شجب تقرير

"التجليات" مقالاً صدر في صحيفة هولندية عنوانه: "إسرائيل تسيء استخدام المحرمات الخاصة باللاسامية" وكان سبب الشجب أن "المؤلفين استخدموا أوصافا نمطية لاسامية تقليدية من خلال لوم اليهود أنفسهم على حدوث اللاسامية"، كما شجب التقرير رسالة بعث بها قارئ لصحيفة نمساوية؛ لأنها "اتهمت الإسرائيليين بأنهم مسؤولون عن ظهور اللاسامية"(21).

تم السماح باستثنائين للمذهبية الجامدة المتعلقة باللاسامية، بوصفها مرضا قبليا لدى غير اليهود - على حد تعبير دانييل غولدهاغن، وهو أحد دهاقنة صناعة الهولوكوست - هذا المرض "الذي لا صله له باليهود الفعليين"، والذي "جوهريا ليس استجابة لأي تقييم موضوعي لتصرفات اليهود"، و "مستقل عن طبيعة اليهود وتصرفاتهم"، يتمثل الاستثناء الأول في أنه يمكن للاسامية أن تنجم عن تصرفات يهود يقومون بعمل صائب: فعلى الرغم من أن الدعم اليهودي الواضح لحركة الحقوق المدنية قد أدى من غير شك إلى ازدياد اللاسامية بين البيض الجنوبيين في الولايات المتحدة، ما كان من الممكن أن يفكر اليهود في التنصل من مسؤولية التسبب في هذا النوع من اللاسامية؛ بل على العكس، إذ نظروا لهذا الأمر بوصفه مصدر فخر، والاستثناء الثاني، وإن يكن غير عقلاني، فهو أن هذا المرض العقلي لدى غير اليهود ناجم عن عاطفة إنسانية مألوفة: الحسد.

لقد زعم نيتشة أن "أخلاقيات العبيد" نشأت عن حسد اليهود من الأروستقراطيين الموجودين ضمنهم، وبالمنطق ذاته تزعم المذهبية الجامدة لدى صناعة الهولوكوست أن "اللاسامية" تنشأ من حسد غير اليهود من الأرستقراطية اليهودية: هم يكرهوننا؛ لأننا أفضل منهم بكثير، ويشرح مورتمير زوكرمان الأمر بالقول: "اللاسامية الجديدة تتجاوز الحدود والقوميات والأنظمة السياسية والاجتماعية"، وكذلك "لقد أصبحت إسرائيل موضوعًا للحسد والغيرة بالطريقة ذاتها التي كان فيها اليهود الأفراد موضوعا للحسد والغيرة"، وتجدر الإشارة إلى أن دوغما صناعة الهولوكوست بهذا الشأن تتشابه تشابها شديدا مع التفسير المقبول سياسيا "للحرب على الإرهاب" التي تشنها الولايات المتحدة، فالعرب يكرهوننا؛ لأنهم متعصبون غير عقلانيين، أو لأنهم يحسدوننا بسبب طريقة حياتنا: ولا يمكن أن يكون السبب أننا من المحتمل ارتكبنا شيئا ظالما، وأي شخص يزعم ذلك يُعدّ تبريريا "للفاشية الإسلامية".

obeikandl.com

كتب جيفري غولدبرغ مقالا لمجلة "ذا نيويوركر" وسعى لتوضيح "سبب الهجمات على أمريكا"، فقام بالنبش حتى وجد مثقفا مصريا، يقول: "هؤلاء الناس حاسدون... إن الموهبة تثير الغيرة في قلب غير الموهوبين". يستند التعاطف "الطبيعي" المشترك الذي تبادلته إسرائيل والولايات المتحدة منذ 11 أيلول/ سبتمبر إلى هذه العقدية الشوفينية التي تسعى لتبرئة معتنقها من أي ذنب - "الآن يعرفون كيف نشعر" (إسرائيل) و "الآن نعرف كيف يشعرون" (الولايات المتحدة). وها هم أولئك الذين يتخيلون أنفسهم ليس فقط أبرياء، بل أيضا طيبين إلى درجة تضر بهم، يشيرون إلى بعضهم بإيماءة تفهّم مشترك[22].

وبالمناسبة، فإن مذهب البراءة اليهودية الجوهرية، يفسر أيضا الشعبية التي حظي بها الكتاب الصغير الذي ألفه سارتر "اللاسامية واليهود" بين القراء اليهود. يستفيض ناثان و روث آن بيرلمتر في الإطراء على كتاب سارتر بالقول: "في تحريه الجراحي للسامية الكلاسيكية، فإن عمله كان عملا مبدعا". من البدهي أنه من غير المرجح أن يكون هذا الكتاب مفضلا للكاتبين بيرلمتر، كما أنه من غير المرجح بصفة أكبر أن يكون سارتر مفضلا من قبلهما، لا سيما أنه ينتمي إلى اليسار، فقبل كل شيء، كانت النقطة التي انطلق منها سارتر هي أن حس القومية اليهودية يفتقر لأي محتوى، ما عدا المحتوى التي يسبغه عليه اللاساميون، إذ يقول في صياغته المشهورة: "اللاساميون يصنعون اليهودي"، ولكن ينطلق سارتر من هذه الأطروحة؛ كي يحاجّ بأن النقائص النمطية التي تلصق باليهود، إما هي من ابتداع اللاساميين، أو إنها جريرتهم هم - مما يعني (أو يمكن أن يفهم أنه يعني) أن اليهود ليس لديهم أية نقائص، أو أنهم لا يتحملون أي مسؤولية عنها.

وإذا كان العداء نحو اليهود موجودا، فلا يمكن أن يكون ناتجا عن إساءات ارتكبها اليهود: "فليس لديه [اللاسامي] خبرة أنتجت فكرته عن اليهودي، بل إن فكرته عن اليهودي هي ما يفسر خبرته مع اليهودي"، ومرة أخرى، فإن اللاسامي "يسبق الوقائع التي أنشأت اللاسامية" وعلى الرغم من أن الدافع وراء مذهب حب اليهود هذا كانت دوافع جليلة دون شك، إلا أن تأثيرها كان كارثيا، إذ ما الذي سينتج عن هذه المحاجة سوى إنتاج لا مسؤولية أخلاقية كاملة؟ ويقول ديرشويتس، مرددا أصداء سارتر: "لا يمكن لوم اليهود على اللاسامية، فاللاسامية هي مشكلة

المتعصبين.... فلا شيء نفعله من شأنه أن يحدث أثرا كبيرا على العقلية المشوهة للاسامي". وباختصار، لا يمكن أن يتحمل اليهود وزر الكراهية التي يكنها الآخرون نحوهم، فالآخرون هم دائما من يصنع هذه الكراهية، وليس نحن[23].

الامتداد غير المبرر

من دون شك، امتد الغضب من الاحتلال الإسرائيلي الوحشي في بعض الأوساط، كي يتحول إلى عداء نحو اليهود بصفة عامة، وعلى الرغم من أن هذا الأمر يبعث على الأسى، إلا أنه يصعب أن يكون أمرا مثيرا للاستغراب، فلقد أحدث الاعتداء الأمريكي الوحشي على فيتنام، واعتداء إدارة بوش على العراق، شعورا عاما بالعداء للولايات المتحدة، تماما كما أحدثت الإبادة العرقية التي ارتكبها النازيون خلال الحرب العالمية الثانية عداء عاما للألمان، فهل ينبغي أن نشعر بالدهشة فعلا إذا أحدث الاحتلال القاسي من قبل دولة تعلن أنها دولة يهودية، كراهية عامة نحو اليهود؟ ويطرح تقرير "التجليات" بجدية أن "جميع الحالات التي تم من خلالها جعل اليهود مسؤولين بصفة جمعية عن سياسات الحكومة الإسرائيلية، تشكل ضربا من اللاسامية". ووفقا لذلك، تم اعتبار إسبانيا على أنها لاسامية؛ لأن "وسائل الإعلام الجماهيرية عادة ما تخلط بين إسرائيل والمجتمع اليهودي".

ولكن إذا كان العديد من اليهود يرفضون أي تمييز بين إسرائيل وبين يهود العالم، حتى أنهم يستنكرون هذا التمييز، بوصفه ينطوي على لاسامية بحد ذاته؛ وإذا كانت منظمات التيار السائد اليهودية تقدم دعما مطلقا لأي سياسة إسرائيلية، وإن كانت سياسة إجرامية، بل إن هذه المنظمات تدعم أشد النزعات شرا داخل إسرائيل، وتعمل على إخماد المعارضة المبدئية خارج إسرائيل؛ وإذا كانت إسرائيل تعرّف نفسها من ناحية قانونية على أنها دولة ذات سيادة للشعب اليهودي، كما يقوم اليهود في الخارج بوصم أي انتقاد لإسرائيل على أنه معاداة لليهود، فإن العجب الحقيقي هو أن الامتداد من الكراهية نحو إسرائيل إلى كراهية نحو اليهود بصفة عامة لم يكن امتدادا أوسع مما هو عليه، وتؤكد تشيسلر في فقرة من كتابها أن "أي شخص لا يفرق بين اليهود وبين الدولة اليهودية هو شخص لاسامي"، ولكنها تؤكد

أيضا في فقرة أخرى من الكتاب ذاته أنه ينبغي على "اليهود الأمريكيين ويهود الشتات" أن يفهموا أن "إسرائيل هي فؤادنا وروحنا... فنحن عائلة واحدة".

وبمثل ذلك، صرحت الصحفية الإيطالية فياما نيرنستين أنه "على اليهود في كل مكان أن ينظروا إلى ارتباطهم بإسرائيل كأمر فاضل ومصدر فخر" وعليهم الإصرار على أنه "إذا كنت متحيزا ضد إسرائيل، فأنت مناهض لليهود أيضا". وبذلك، يبدو أنه من باب اللاسامية أن تربط بين اليهود وإسرائيل وكذلك أن تفصل بين اليهود وإسرائيل! ووفقا لشوينفيلد، "يسعى واضعو البروباغاندا الإيرانيون إلى إلغاء جميع أشكال التمييز بين إسرائيل والصهيونية واليهود"، ومع ذلك زعم هيليل هالكين في مجلة "كومنتيري" التي يحررها شوينفيلد أن "إسرائيل هي دولة اليهود، والصهيونية هي الإيمان بأنه يجب أن يكون لليهود دولة، وإن التشهير بإسرائيل هو تشهير باليهود" ("عودة اللاسامية"). فهل يعني ذلك أن هالكين ومحرر مجلة "كومنتري" هما أيضا يمارسان اللاسامية[24].

وكما أنه من باب المبالغة في التبسيط وصم الاتهامات بشأن مسؤولية اليهود عن السياسة الإسرائيلية على أنها اتهامات لاسامية (وهو أمر مفيد في لجم أي نقاش حول هذا الأمر)، فإنه من المبالغة في التبسيط أيضا وصم مفهوم نفوذ اليهود على أنه مفهوم لاسامي (وأمر مفيد أيضا). فيعتبر اليهود حاليا أغنى مجموعة عرقية في الولايات المتحدة، وقد حازوا بفضل هذه القوة الاقتصادية نفوذًا سياسيًّا كبيرًا، سخر قادة اليهود هذا النفوذ، وأحيانا بصفة قاسية، لتشكيل سياسة الولايات المتحدة نحو إسرائيل، كما استغل هؤلاء القادة ذلك النفوذ في ميادين أخرى، فتحت غطاء السعي للحصول على "تعويضات عن الهولوكوست"، وانخرطت المنظمات اليهودية الأمريكية وأفراد يهود، وعلى كافة أصعدة الحكومة وكافة قطاعات المجتمع الأمريكي، في مؤامرة لابتزاز أوروبا (كلمة مؤامرة دقيقة في هذا السياق).

وقد تماشت إدارة كلينتون مع عملية الابتزاز هذه بسبب "أموال التبرعات اليهودية"، وقدمت إدارة كلينتون (على الرغم من أن ذلك ضار بمصالح الولايات المتحدة) دعما جوهريا لهذه العملية في كل مرحلة من مراحلها، ومن يمكنه أن يعتقد

بجدية، أن المحاباة الواضحة في المؤسسات الإعلامية ليس لها علاقة على الإطلاق بالتواجد اليهودي المؤثر في كافة مستويات تلك المؤسسات؟ ويسلم فوكسمان بأنه "من الصحيح دون شك أن يوجد يهود بارزون ضمن المنتجين والمخرجين وإداريي الإستوديوهات، والنجوم في هوليوود. ومن الصحيح أيضا، ومن ناحية التناسب، أنه كان هناك دائما تواجد يهودي بارز في الأفلام، والتلفزيون، وصناعة التسجيلات الموسيقية".

ويواصل فوكسمان القول: "إن اليهود الموجودين في هوليوود، موجودون هناك ليس بوصفهم يهودا، بل كممثلين ومخرجين وكتاب ومدراء أعمال، أو أيا كانت مجالات عملهم"، وهم معنيون فقط "بتحقيق الربح"، ولكن ما هو الإثبات الذي يسوقه فوكسمان؟ "هذا يفسر المفارقة التي لم يتناولها أي من واضعي نظريات المؤامرة اللاساميين، فما هو تفسير أن صناعة الأفلام التي يفترض أنها تخضع لسيطرة اليهود لم تنتج سوى عدد قليل من الأفلام التي تتناول شخصيات يهودية أو موضوعات يهودية". ألهذا السبب أنتجت هولوليد 175 فيلما عن الهولوكوست النازية منذ عام 1989؟ يمكن بالتأكيد طرح أسئلة مشروعة حول متى وما إذا كان اليهود في تلك الأوساط هم أناس تصادف فقط أنهم يهود دون أهمية لانتمائهم العرقي، أو أنهم يتصرفون "بوصفهم يهودا"، وفي حال تصرفوا بهذه الصفة (وهو أمر يتم طرحه بوضوح)، فما هو مدى وحدود هذا "النفوذ اليهودي"؟ ولكن هذه الأسئلة تستوجب تناولا تجريبيا، وليس استدلاليا باستخدام صيغ تتحرى اللياقة السياسية.

إن منع التمحيص في هذا الموضوع من خلال وصمه بأنه يدخل في إطار اللاسامية، من شأنه أن يقي اليهود من التمحيص المشروع بشأن استخدامهم لهذا النفوذ الكبير، أو إساءة استخدامه، وقد تعامل برايان كلوغ تعاملا معقولا مع موضوع اللاسامية الجديدة، ولكنه حاد عن ذلك عندما أكد أنه "يدخل في باب اللاسامية" إذا كان الاتهام الموجه ضد اليهود يماثل الصور النمطية اللاسامية، مثل فكرة أن اليهود "نافذو الرأي، وأغنياء... ويسعون لتحقيق أهدافهم الأنانية". ولكن إذا تصرف اليهود فعلا بأسلوب يتشابه مع الصور النمطية، وفهذا يعني ببساطة أنه يمكن لهم فعلا ارتكاب القيام بعمل يتواءم مع الصورة النمطية، وقد يكون من غير اللائق

obeikandl.com

سياسيا أن نستذكر الملاحظة المألوفة بأن الصور النمطية المؤثرة، مثلها مثل البروباغاندا المسبوكة سبكا جيدا، تستمد قوتها من أنها تحتوي على بذرة من الحقيقة (وأحيانا أكثر من بذرة)، فهل ينبغي ترك أمثال إبراهام فوكسمان، وإدغار بروفمان، والحاخام إسرائيل سينجر لحال سبيلهم؛ لأنهم يشبهون الصور النمطية الواردة من مجلة "المهاجم"(*)؟[25].

في كتاب "صناعة الهولوكوست"، طرح كاتب هذه السطور تمييزا بين **الهولوكوست النازية** (أي، الإبادة المنهجية لليهود في أثناء الحرب العالمية الثانية) وبين الهولوكوست (أي، استغلال الهولوكوست النازية من قبل نخب اليهود الأمريكيين ومؤيديهم)(**). وهناك حاجة لتحديد تمييز مواز بين اللاسامية (الاستهداف غير المبرر لليهود لأنهم يهود فقط)، و "اللاسامية" (أي استغلال اللاسامية من قبل نخب اليهود الأمريكيين أو غيرهم)(***). ومثل حالة كلمة الهولوكوست، فإن كلمة "اللاسامية" هي سلاح أيدولوجي يهدف إلى صد النقد المشروع الموجه لإسرائيل، وما يتلازم مع ذلك من نقد موجه لمصالح اليهود المتنفذين، وفي الاستخدام الحالي لكلمة "اللاسامية"، وكذلك عبارة "الحرب ضد الإرهاب"، فإنهما يستخدمان كغطاء للاعتداء الكبير على القانون الدولي وحقوق الإنسان. ويجب على اليهود الملتزمين بمكافحة اللاسامية الحقيقية، وقبل كل شيء، أن يعملوا على كشف "اللاسامية" المضللة على حقيقتها، ولقد استنتج مؤلفو تقرير "التجليات" أنه "لا تتوفر علاجات

(*) Der Stürmer: مجلة "المهاجم" هي مجلة لاسامية كانت تصدر في ألمانيا في أثناء الحقبة النازية، وكانت تحتوي على بروباغندا نازية، وتهاجم اليهود، وتلصق بهم أسوأ الصفات. [المترجم]

(**) يميز الكاتب بين المصطلحين من خلال استخدام الحرف الصغير في اللغة الانجليزية في كلمة هولوكوست في الحالة الأولى؛ والحرف الكبير في كلمة هولوكوست في الحالة الثانية، ويستخدم الحرف الكبير في اسم العلم، فالتمييز هو إذًا بين عبارة "the Nazi holocaust" و"The Holo-caust" - . [المترجم]

(***) التمييز هنا من خلال وضع علامة الاقتباس (")، وتستخدم علامة الترقيم هذه في حالة الاقتباس، أو في حالة التحفظ على استخدام كلمة محددة، فمثلا لو وردت عبارة "عملية السلام" في بين علامتي اقتباس، فهذا يعني أن مستخدم العبارة يتحفظ على استخدام الكلمة، وقد استخدم، مؤلف الكتاب هذه العلامة أيضا عند الحديث عن "مؤيدي" إسرائيل، إذ يتحفظ على الاستخدام بمعنى أن مؤيدي السياسات العدوانية لإسرائيل، هم في نهاية الأمر سيتسببون في خرابها، بناء عليه لا يمكن اعتبارهم مؤيدين. [المترجم]

واضحة وحلول سريعة" للاسامية، "وليس من الممكن صياغة إستراتيجية نهائية يمكن أن تكون فاعلة في كل مكان"[26].

كاتب هذه السطور يختلف مع هذا الطرح، فيجب قول الحقيقة، والكفاح من أجل العدالة: فهذه هي الإستراتيجية التي نجحت عبر الزمان لمكافحة اللاسامية، والأشكال الأخرى من التعصب. وإذا كان السخط الحالي ضد اليهود يتصاحب مع القمع الإسرائيلي الوحشي للفلسطينيين، بحسب ما تتفق عليه جميع الدرسات المهمة، فسيكون من العلاجات الواضحة والحلول السريعة هو - ببساطة - إنهاء الاحتلال. كما أن من شأن انسحاب إسرائيلي كامل من المناطق التي غزتها عام 1967 أن يحرم اللاساميين الحقيقيين الذين يستغلون القمع الإسرائيلي كذريعة لإسباغ الصفات الشيطانية على اليهود، من سلاح خطير في حوزتهم (ومن لديه شك أن مثل هؤلاء موجودون؟)، وأن يكشف أهدافهم الحقيقية، وكلما زادت حدة اعتراض اليهود على الاحتلال الإسرائيلي، كلما قل عدد غير اليهود الذين يخلطون بين السياسات الإسرائيلية الإجرامية والدعم غير المحدود (أو حتى التشجيع) الذي تقدمه المنظمات اليهودية من التيار العام، وبين المزاج اليهودي العام. ومن ناحية أخرى، فإن أسوأ الأعداء في الكفاح ضد اللاسامية الحقيقية، هو الحب المبالغ فيه للسامية. وهذه المشكلة عادة ما تبزغ في المشهد الأوروبي، فمن خلال التغاضي عن جرائم إسرائيل باسم الحساسية نحو المعاناة اليهودية السابقة، فإنهم يمكنون إسرائيل من مواصلة المسار الإجرامي الذي يثير اللاسامية، ومن ثم التدمير الذاتي للإسرائيليين، وقد ثبت أن الحب المبالغ فيه للسامية وتطبيق إعفاء خاص لنخب اليهود الأمريكيين له أثر تدميري مشابه، وكما أشرنا سابقا، تتعم نخب الأمريكيين اليهود بازدهار كبير. وقد انبثق عن هذا النفوذ السياسي والاقتصادي المزدوج عقلية تعتقد بتفوق اليهود، وهذا أمر لا يدعو للدهشة، ويدعي اليهود المنتمون لهذه النخب، المتدثرون بعباءة الهولوكوست، أنهم ضحايا (وربما هم يتخيلون أنفسهم ضحايا في عالم "الأنا" الذي يعيشون فيه)، وعلى ذلك فإنهم ينبذون أي انتقاد، بوصفه تجليا "للاسامية"، ومن هذا الخليط القاتل من النفوذ الكبير، والغطرسة الشوفينية، ووضع الضحية المختلق (أو المتخيل)، والحصانة من الانتقاد من خلال ورقة الهولوكوست، انبثقت قسوة مخيفة، ومتهورة لدى نخب اليهود الأمريكيين، فإلى جانب إسرائيل، فإن هذه النخب هي أكبر مصادر إثارة اللاسامية في العالم حاليا. إن تدليلهم ليس الجواب، إذ يجب إيقافهم عند حدهم.

obeikandl.com